جناية المنتسب العاني

فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني

الجزء الثاني

تأليف

سيدي الحاج أحمد سكيرج

قاضي نواحي مدينة سطات

بالمغرب الأقصى

جعل الله مقره في عليين

١٢٩٥ — ١٣٦٣ هـ

دار الطباعة الحديثة

١٩ درب المدبح (ميدان الحسين بالقاهرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الجزء الثانى

من جناية المنتسب العانى فيما نسبه بالكذب للشيخ التجانى

نحمد الله على ما إليه ألهم، وكشف به عنا الهم. ونشكره تعالى شكر عبد قال ربي الله ثم استقام. والصلاة والسلام على سيد الأنام وعلى آله وأصحابه ما بقي للدوام دوام.

أما بعد، فيقول خديم الحضرة المحمدية التجانية، لما من الله علينا بتخريج الجزء الأول من كتابنا جناية المنتسب فيما نسبه للشيخ التجاني بالكذب، وقد سلكت فيه مسلك النصح للإخوان للسلوك فى الطريقة الأحمدية على قدم الجد فيها فى السر والإعلان. ليتحقق الولوعون بالنكران أن هذه الطريقة رفيعة الشان. برغم أنف كل مريد شيطان. وليكون المريد الصادق على بينة من دينه فيها، عملا بالشريعة المطهرة وما فيها مما لا ينافيها، على أني لا أعدم منتقدا علي من أصحاب الأغراض من الاخوان فضلا عن غيرهم، فيما جئت به من الحق، غير مدار فيه غيرى من الخلق، بما أقررت به عيون المعتقدين فى جانب الشيخ رضي الله عنه، وما أرشدت إليه فى سلوك طريقته المبنية على الكتاب والسنة عند من وقف فى هذه الطريقة على عين الحقيقة. وليتحقق المحققون بأن ما خالفهما مما ينسب للشيخ وخاصة أصحابه وعموم الاخوان، كذب محض منقول عليهم من أهل البغض.

على أننا أيضا لا نعتقد العصمة في الشيخ وأصحابه من صدور ما يقبل الانتقاد فكل كلام فيه المردود والمقبول، إلا كلام الرسول صلى الله عليه وسلم. ولكن الانتقاد لا يكون من كل أحد والمنتقد على كل حال على خطر. والاعتقاد لا يأتي إلا بخير من غير ضرر. وها نحن شارعون بحمد الله في الجزء الثاني من هذا التأليف سائلا من المولى التوفيق والتأييد والله يعصمنا من الزلل، ويوفقنا لصالح القول والعمل.

الكلام على الأوراد اللازمة في سلوك الطريقة التجانية وماتقوله المتقولون فيها بما نسبوه للشيخ رضى الله عنه ولأصحابه الذين أخذوا عنه مشافهة ومن بعدهم إلى الآن.

إعلم أن الشيخ التجاني رضي الله عنه، عند المعتقدين فيه بلغ إلي درجة في الولاية المحمدية لا يلحقه فيها أحد من الأولياء الذاتيين والصفاتيين، حاشى الأنبياء والصحابة عليهم السلام فهم لا يوازيهم في المعرفة بالله غيرهم. ولقد جمع الله لأمة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم، ماتفرق فيهم من العلوم والمعارف، والرقى في منازل القربة، بالوراثة المحمدية، وغير ذلك ما تكل دونه الأبصار، ولا تفصح عنه العبارة وكل واحد من الورثة المحمديين، له موارد ومشارب مما يحصى في حقه وما لا يحصى فضلا من الله ومنه، حسب التخصيص من ذى الفضل العظيم، الذي لا يحجر عليه في منحه أو منعه، وهو الفاعل المختار. ولقد أكرم الله الشيخ التجانى رضى الله عنه من فضله، طبق ما بشره به رسول الله صلى الله عليه وسلم، بما اطمأن به صدره، تصديقا بما تقضي به المبشرات التي لم تنقطع بعد انقطاع الوحى. ومع ماله من جميل الاعتقاد الذي لا يتزلزل معه في حق ما بشر به، فإنه كان واقفا موقف راسخ القدم في الخوف من مكر الله منبها على ذلك كل من أخذ عنه أو لاقاه ممن لهم حسن ظن في أهل الله، وهو يدل علي الله بحاله ومقاله، مع تبشير المؤمنين بما لا يحصل لهم به نفور عن الحق، ويردهم بالحق إلي الحق، وجميع ما أخبر أصحابه وأحبابه من فضائل ومناقب وغيرها مما يرجع إلي جلب القلوب لسلوك على مسلكه والتمسك في

مسلكه ، فهو على حسب ما لديه من المبشرات التي كان يبشره بها سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، وما تلقاه منه مشافهة بضمان منه له فيه ، فأخبر بذلك طبق ما لديه . ولا شك أن من أخبر بما يشاهده ، فشكل الدرك على من يجحده ويعانده وكيف يليق بمن له مسكة من العقل ويتمسك بالإيمان بالغيب وكان من أهل الدين القويم ، أن يكذب بمن أخبر بمبشرات نالها في مرائيه ، سيما إذا كان هذا المخبر ممن ثبتت عدالته وفضله ، وتباعد ذمه عن الكذب الذي لا يفلح صاحبه ولا يبلغ به قصدا دائم النفع . على أن ما يدعو إليه سرا وجهرا كله محمود ، وهو شيء لازم في التأكيد على المريد في إقامة الصلاة المفروضة ، وامتثال الأوامر واجتناب المنهيات واستغراق الأوقات في تكثير الطاعات ، وبالأخص الصلاة على سيد السادات ونحو هذا . فلا شك أن من يذم مثل من قام بهذا محروم ، وليس في هذا من بطالة ولا ما يدعو إليها ، فالمريد المحترف القائم بمعاشه على الوجه المباح شرعا ، والمريد المتعاطي للعلم والحضور في مجالس التعلم والتعليم ، والمريد الذي يقف عند الحد المحدود ولا يتعدى بما أمكنه الحدود ، والمريد الذي يقف موقف الفقير الصابر وموقف الغني الشاكر ، والمريد الذي لا يخوض فيما لا يعنيه ومع كل هذا وأكثر منه مما هو معروف في السالكين في هذه الطريقة الأحمدية التجانية بعد أداء الصلوات على الوجه الأتم ، كيف يسوغ لمن فيه رائحة إيمان أن ينفره من أذكارها اللازمة فيها لزوم نذر يتعين الوفاء به في حق المؤمن المأمور بالوفاء بالعهود . أو ينفره من الأذكار الغير اللازمة فيها مما كان يذكره الشيخ رضي الله عنه ، وأبان بعض الفضل المنوط به ولو في حديث ضعيف ، فإن العمل بالضعيف في صالح الأعمال من أعمال البر ، وليس للمخالف أن يلزم أحدا بما اقتضاه نظره في المخالفة ، وكل ما فيه خلاف فلا سبيل إلى إلزام أحد بما اختاره المخالف ، إلا في حق المقلد فهو مأمور بمتابعة مقلده فيه ، والشيخ الذي يختاره المريد في سلوكه على المنهج القويم قد يتخذه مريده قدوته حتى في مذهبه الذي نشأ عليه ، وكلما تمكن المريد من حب شيخه ازداد فيه استغراقا ، فلا يرى مذهبا إلا مذهبه في الأصول والفروع ، وما اختاره له شيخه في طريقه من ذكر ومذاكرة وتذكير في السلوك إلا لتحققه بأنه على بينة

من أمر ربه ، بما قر فى صدره من التصديق والإيمان بالغيب الذي لاحت له فى عالم الشهادة أمارات الخير عليه . وكل ربح ونجاح وفلاح يتحققه بأنه منه وفيه وإليه ، سيما فى حق الشيخ العارف بالله الدال عليه ، بالحال والمقال فى كل مقام ، فكيف عن تمكن حبه فيه حبا شرعيا ، أن يلتفت لمبغض هذا المحبوب ، أو يليق بعاقل أن ينفر هذا المحب بأنه لا يظفر منه بمطلوب. إن المنكر حينئذ قد فتح أبواب شحناء وبغضاء ، فكان جانيا على نفسه بإنكاره إذا أساء به الظن مريده ، أو قاطعه فى الله من أجل شيخه الذى يفيده فائده علنية ، أو سرية ، ولا أنفع من الفائدة الدينية وهي التى يظفر بها إخوان الطرق التي بنيت على أساس التقوى ، مثل هذه الطريقة الأحمدية التجانية بحمد الله، ومحصلها ورد ووظيفة وذكر جمعة، ومازاد على ذلك فهو فيها فضل أو فضول ، فضل لأصحاب الاعتقاد ، وفضول من أهل الانتقاد . فما كان في الكتب المؤلفة فى الطريقة الأحمدية مما زاد على بيان شروطها وبيان أورادها اللازمة فيها فهو من قبيل ما ألف في غيرها من سائر الطرق ، منه المقبول ومنه المردود ، وما ذكرت المناقب والفضائل إلا للمريدين الصادقين أو للمعتقدين في أهل الله بين الهادين والمهتدين ، فلا يضر الاعتراض على شيء من ذلك بلسان العلم المؤيد بالحجج والبراهين من أهل العلم . أما تداخل الجهال ومن فى معناهم من أصحاب الأغراض الشخصية ، فهم والعدم سواء ، والجناية فيما جنوه فى ذلك لا إقالة فيها بدون المسارعة إلى التوبة ممن وفقه الله لها ، قبل توتير قوس راميه ، بالسهم الذي يصميه . ونعوذ بالله من الطرد من حضرات الحق بمعادات أوليائه . وإذاية واحد منهم إذاية لجميعهم . فليستعد معاديهم لمحاربة من اتخذهم أولياء .

وإذا تقرر هذا وهو من الوضوح بمكان ، تحقق لذوى الإنصاف أن الطريقة شيء ، والكتب المؤلفة فيها شيء . وليست هذه الكتب هي نفس الشيخ رضي الله عنه . فالعالم الذى له الحظ الأوفر من العلم الصحيح ، إذا أراد الاعتراض على مافى هذه المؤلفات ، فاللائق به إن لم يوفقه الحق لترك الانتقادات ، أن يجعل كلامه مع الكلام . وأن لاينسب شيأ لمن لم يسمعه منه إلا بغاية الاحترام . فإن كان ولابد من

الانتقاد ونسبته إليه اعتمادا على المؤلف الذى نسبه إليـه ، وإقامة الحجة على أن قائله هو الشيخ قدس سره بما احتفت به من القرائن ، وتعدد نسبته إليه من راويه عنه فى غير ما كتاب ، فيحتاج المعترض إلى أن يستقصى الكلام ويستوعبه بدءا وتماما ، مع عارضة فكر متنور ، ومراعاة القواعد العقلية والنقلية ، واتساع باع فى الاطلاع على ما انطوت عليه المسألة التي قام للانتقاد عليه فيها .

ولا شك أن جل مالا يقبله ذووا الرسوم مما هو منسوب للشيخ رضى الله عنه كله تلقاه فى حضرات اجتماعه بالرسول صلى الله عليه وسلم يقظة أو مناما . فهو في حال اليقظة بمظم التجلى عنه ، وما يخبر به عنه لاسبيل لانتقاده ، لأنه لم يقله الشيخ من عندياته ، وإنما نقله عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى واقعة رؤية يقظة ، أو مناما أخبر به عنه فى مرائيه المنامية ، ولا سبيل للإنكار على من أخبر بما تلقاه في مثل هذين الحضرتين . ولا معنى للطعن فى رؤياه وهو يقول رأيت . ويقتضي البرهان الأني الذي يكون صاحبه فى منزلة رفيعة من التقوى بوراثة محمدية مقتديا به فى قوله عليه السلام أنا النبى لا كذب ، لا ينبغى التسارع إلى النكير ، لاسيما الانتقاد بالتضليل والتكفير ، وهو سلاح ذي الباع القصير .

وحيث آلينا على أنفسنا أن نصدع بالحق وننشر لواء النصر لأهله ، فلنزد في هذا المقام بسطا ، برفع الستار عن مخدرات المعانى المجلوة على منصات القبول فى أجلى مظاهرها ، المتشبثة بأذيال أوراد هذه الطريقة ، لتظهر الحقيقة في مظاهرها لطلابها . فقد قلنا مبنى هذه الطريقة التجانية المحمدية على:

أولا — الورد : وهو مركب من :

١ — لفظ : أستغفر الله . وهذا ذكر من الأذكار الواردة عن الشارع ، لا سبيل لإنكار شيء منه سوي ما أورده من ادعى أنه على بصيرة مما ورد عن الشارع في كون ذكره مائة أو أقل أو أكثر لم يرد منه حصره في عدد . فكون الحصر في مائة بدعة ، لايخرجه عن كون لفظه ذكرا ، فانتقاد الحصر لا يجديه نفعا

إن ذكره المريد معدودا فى كل يوم . وترك هذا المنتقد الاستغفار ، حسبه فيه ما جناه على نفسه من الإنكار ، بحرمانه من ذكره .

٢ — ثم هو أيضا مركب من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم مطلقا ، وبالفاتح لما أغلق بلفظ : اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق ، والهادى إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم . أفضل ، لما للشيخ رضى الله عنه من تحقيق التبشير فيهما بالمبشرات التى أكرمه الله بها . وقد بسطنا القول في هذه الصلاة الفريدة وما فيها ، وما تقول على الشيخ فيها ، في هذا التأليف وفى غيره بما يكفي . فلنكتف هنا بأن نقول إن الفاتح لما أغلق ، قد أخبر سيد الوجود صلى الله عليه وسلم الشيخ رضى الله عنه ، رؤيا أو يقظة ، بما هو منوط بفضائلها التى أخبر بها . ولم تكن من عندياته تلك المناقب وإنما هو مخبر عما شاهده وسمعه من تلك الحضرة النبوية ، سواء صدقه فى تلك المشاهد من صدقه أو اتهمه من اتهمه ، فهو عن مرآه ومشاهد أخبر بها ، وقد صدقه أصحابه وإخوانه ، وهم من أهل تلك الحضرة ، التى يرى الشخص فى مجالها ما لا يكاد يحصر من العجائب ، لأن مجال الرؤيا فسيح . ومجاليها لا يعبر عنها فصيح فلا معني لتضليل أو تكفير عمن أخبر بشيء سمعه أو رآه فيها ولو كان محالا . فلم يبق إلا المكابرة ممن يريد ستر وجه الحق الظاهر للعيان بأفصح بيان . حتى إن اعتقاد كونها خرجت من حضرة الغيب ، أو أنها من كلام الله ، المشروط في نيل فضلها ، لا شيء يلزم عليه لا شرعا ولا عقلا ، حيث إن المخبر بذلك أخبر عن كونه تلقاه من هذا الوجه . وليس بلازم اعتقاد ذلك لمن لم يوفق لذكرها . فهى صلاة الفاتح عند من ذكرها وعند من لم يذكرها . ولو سماها من شاء من المنتقدين بما شاء مما يوافق اعتقاده فهو فيه عامل على شاكلته ، فلا نلطخ وجه هذه الصحيفة بنقطة سوداء كريهة الرائحة فيما سماها به . عفا الله عن المنتقدين وجعلنا فى حزب المعتقدين المحفوظين فى الدنيا والدين .

ولم يبق من إيراد المنكرين إلا كونها ليس باللفظ الوارد عن الشارع . فنحن

قد بينا أن الشارع لم يمنع الناس عن الصلاة عليه بغير اللفظ الوارد عنه صلوات الله عليه . على أن مدحه عليه السلام ، مفتوح الباب بذكر أوصافه الجميلة بالقصائد المتنوعة العبارة ، قيد حياته وبعدها إلى يوم القيامة . ولا ينكر متدين ذلك . فالصلاة المشتملة على وصفه ونعته بجميل الصفات والنعوت ، من باب أمداحه التي أثاب عليها بنفسه ، وينوب الحق عنه فى إثابة مادحيه ، بما نرجوا أن يكون لنا الحظ الأوفر من ذلك ، أو على الأقل أن يضرب لنا بسهم من ثواب مدحه والصلاة عليه ، وما ذلك على الله بعزيز .

٣ — ثم هو أيضا مركب من مائة من الهيللة ، بلفظ لا إله إلا الله . وما أحلاها من كلمة فى فم المريد الذى يذكرها فى ورده ، وبلغ فيها بحمد الله غاية قصده . فنسأل الله أن يجعلها آخر كلامنا فنلقاه ونحن نقول لا إله إلا الله .

فإذا كانت هذه الأذكار الثلاثة كلها واردة عن الشارع ، والأمر بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وارد بذلك اللفظ وبغيره ، فلا معنى للطعن على من التزم ذكره صباحا ومساء بإذن خاص عند المنصفين . ولو كانت نفس المنكر لا تسمح بالإذعان لما قلناه فقرينه يضحك لحرمانه من السلوك مع القوم فيما سلكوا عليه مانعا له من من ذكر ذلك بما لا قدرة له على منع ذاكره وما التوفيق إلا من عند الله .

ثانيا — فإذا تقرر هذا وتكرر للسامع أن هذا الورد يذكر صباح كل يوم ومساءه طبق ما بنيت عليه هذه الطريقة ، نذكر بعض ما يتعلق بالوظيفة التى هي أحد أركان الطريقة . وهي مبنية من :

١ — الاستغفار ، بلفظ : أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحي القيوم . وهذا ذكر وارد عن الشارع بألفاظ وقع للشيخ رضي الله عنه الاختيار على هذا اللفظ منها ، بتلقين النبى صلى الله عليه وسلم في ذكره ضمنها ، فنظم جواهر ذكرها هو بيد سيد الوجود صلى الله عليه وسلم .

٢ — ثم بعد ذكر الثلاثين من هذه الصيغة ، يذكر تاليها خمسين من صلاة الفاتح لما أغلق طبق ذلك التنظيم الذى تقرر للشيخ رضى الله عنه فى ذكرها إلى

وفاته ، وبقي عمل الإخوان بفاس وغالب الزوايا عليه .

٣ — ثم مائة من الهيللة، وهو ذكر منشور اللواء مشرق المنار عالي المنال ختم الله لنا به مع النفس الأخير آمين .

٤ — ثم ختم الوظيفة ، باثنتى عشرة من جوهرة الكمال . وهي بهذا اللفظ .

اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعانى . ونور الأكوان المتكونة الآدمي صاحب الحق الرباني . البرق الأسطع بمزون الأرباح المالئة لكل متعرض من البحور والأوانى . ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكاني . اللهم صل وسلم على عين الحق التي تتجلى منها عروش الحقائق . عين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم اللهم صل وسلم على طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم . إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه .

فهذه من صيغ الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، التي تلقى العارفون من الحضرة المحمدية مثلها وفتح عليهم بالصلاة عليه بها . ولا زالت منذ توفى الرسول صلى الله عليه وسلم ، الكمل من الأولياء وأهل المحبة فيه ، يتفننون في تأليف مثل هذه الصلوات عليه بما لا يجهله أحد ولا ينكره الجاهل فضلا عن العاقل فضلا عن العالم ، إلا ما كان من فئة من المشددين الذين شدد الله عليهم الأزمة ، حتى انفرجت بتركهم للذكر على اختلاف أنواعه ويحسبون أنهم يحسنون صنعا . وما علينا فيهم لو تركوا مع بدعة الذكر فى زعمهم حتى تتحقق الخسارة فى حق الذاكر العامل من غيره . ونحن لا نجهر بالسوء من القول ، وإن ظلمونا بالطعن والنكير لجهل منهم أو تجاهل . فقد حملوا حملة شعواء على الشيخ فى هذه الصلاة ، بوصف النبى صلى الله عليه وسلم فيها الأسقم . وكأنهم لم يعلموا أن الأنبياء يجوز فى حقهم كل عرض ، ليس مؤديا لنقص كالمرض . فإبراهيم عليه السلام يقول: إنى سقيم . ورسول الله عليه السلام يقول : شيبتني هود وأخواتها . فهو صلى الله عليه وسلم أسقم الناس من جهة الشفقة بأمته والخشية من ربه . ومع كونه أسقم الناس فهو تام العقـــل والميز تام

الأوصاف المتصف بها صاحب السقم الذي يضجر ولم يبق له فيه مصطبر . بخلافه صلى الله عليه وسلم فلا يصدر منه ما لا يليق لكمال وصفه ورسوخ قدمه في المعرفة بربه . ولقد بكي صلى الله عليه وسلم في موت ابنه إبراهيم عليه السلام وقال : العين تدمع والقلب يخشع ولا نقول إلا ما يرضى الرب وإنا بعدك يا إبراهيم لمحزونون. فهذا من تمام وصفه بالرضى وكمال التسليم لمولاه مع حزنه الذي حل به . وما زاه إلا تشريعا لنا وإخبارنا بما يجرى على المعصوم لنعمل على مقتضاه . ونعوذ بالله أن نقول في مثل هذا المقام مقالا لا يرضى الرب . فالوظيفة وما اشتملت عليه بريئة الساحة مما رميها به من لم يوفق أن يكون من أهلها . ولله عاقبة الأمور .

ثالثا — وقد بقي من الورد اللازم في هذه الطريقة ، التعرض للذكر يوم الجمعة بعد صلاة العصر ، فردا أو جماعة . وهو سرد ألف من الهيللة بلفظ : لا إله إلا الله أو اثنى عشرة مائة أو ستة عشرة مائة أو أربعين . وفي حق الجماعة الذكر بلا عد ولا حد إلى غروب الشمس . وليس في هذا السرد ما ينكر إلا ما ألصقه المنتقدون بجانب ذلك بكونه بدعة ، لكون الذكر جماعة عنده بدعة خصوصا فيها وقت ، مع كون العمل جرى به والأحاديث تدل عليه . وقد بسطنا القول فيه في غير هذا المحل ليراجعه المنتقد والمعتقد . وعلى الكل أن ينظره بعين الإنصاف ليستفيد على قدر قابليته وبالله التوفيق .

الكلام على الوظيفة الشريفة ، وما تقوله المتقولون
من تقسيمها إلى وظائف عمومية وخصوصية .

إعلم أن الوظيفة الشريفة ، من أركان الورد اللازم قراءته للمريد السالك في الطريقة التجانية على قدم الجد . حتى شاع وذاع بين الإخوان أن الشيخ قال : أصحابي هم أصحاب الوظيفة جماعة . وعند آخرين قال : أصحابي هم أصحاب الفاتح لما أغلق . ولم يصح هذا اللفظ عن الشيخ إلا في الشاهد المنسوبة للخليفة المعظم سيدي الحاج على حرازم ، ففيها ما يدل عليه . وإنما شاع هذا على لسان بعض المقدمين ،

فما أكد على القيام بالوظيفة جماعة لأنها ركن عظيم القدر كبير السر . ويكفي في شرفها حضور المصطفى صلى الله عليه وسلم مع الخلفاء الراشدين عند الجوهرة السابعة حضورا يكاد أن يكون حسيا ، وهو أمر متحقق بالمشاهدة عمن فتح الله بصيرته . ولا يضر الانكار على القول بحضورهم عند المعتقد . وكفى المنتقد حرمانا من بركة حضورهم . هو وإن كان حضورا على خرق العادة ، فإن استحضار الأرواح غير مستبعد بل واقع . حتى لدى علماء المادة . وهي ضربة قاسية في رقبة الماقي بقاء الروح مما صار كالمحسوس عند عموم الناس حتى الكفار فضلا عن ذوي الإيمان . وقد قيل بأن الخضر عليه السلام يحضر بذاكر اسمه في أي محل كان وهذا غير مستغرب عند من اتسعت عالميته وعرف سر الخواص عند الخواص ، ولا استبعد حضور روح كل من ذكر اسمه في محل ولو بين السماء والأرض لما أراه كالواقع في بعض الوقائع . ولا علينا فيمن لا تقبل قابليته مثل هذا ويعده من الأوهام وغيرها . والمدار في هذا على الاعتقاد وليس على المريد التجاني اعتقاد مثل هذا . وإنما المتعين في حقه تلاوة هذا الركن في أدب تام ، ويزيد في خاصة نفسه والحاضرين معه كمال أدب . وقد تسلط الشيطان على ذاكرها إذا وصل للسابعة منها أن يرجعه في التلاوة فيسرع إلى التمام ، مع أنه كان من المتعين عليه أن يرتل ذكرها مع استحضار ما عليه من مزيد مراعاة لحق الحاضر عنده ، ليكون في تلك الحضرة على غاية ما يكون من الأدب المطلوب . أما من يستعجل لإتمامها لسبب من الأسباب فهو على بصيرة من أمره . ولا علينا في ذوي الأحوال من ملامتية وغيرهم في هذا المجال ، لما يؤول بهم مما لا يتحمله إلا المجذوب أو راسخ القدم ، فالأول لعدم رؤياه للحاضر عنده والثاني لمعرفته بما حضر لديه ويشاهده فيقوم بما هو مطالب به من الأدب اللائق في حقه فيعمل بمقتضاه وأما الملامتي وصاحب الحال فهو مغلوب على أمره ، بما تجلى له ووقع في سره . ولقد قررنا لبعض ما يتعلق بحضور المصطفى صلى الله عليه وسلم مع الخلفاء رضوان الله عليهم في الوظيفة وذكر يوم الجمعة ، في غير هذا المحل من هذا الكتاب وغيره فليراجعه من أراده ليستفيد منه أو ينكر منه ما ينكر طلاب العلم . وليس السكوت بنافع في حق المتفقه إلا بدليل من غير تكفير ولا تضليل

وهذه الوظيفة التي هي أحد أركان الورد اللازم للمريد ، هي المعروفة بين الاخوان ، وتتلى في زوايا الشيخ رضي الله عنه في سائر الأوطان . وهي مقررة بينهم .

وقد تقول على الشيخ رضي الله عنه المتقولون ، وجعلوا الوظيفة متنوعة بحسب ذاكريها ، الذين جعل هذا المتقول منهم الأقطاب والأغوات وغيرهم داخل الطريقة وخارجها . وغالب هذه التقولات يشيعها المتقولون في البلاد البعيدة بين الاخوان أصحاب الصدور السليمة المتشوفين إلي الاستطلاع على الأسرار المنوطة بالأذكار ، فيغترون بكل من انتسب للطريقة ، وهم كثير ممن يقصدون القطر الشمالي والقطر السوداني . وسكان هذين القطرين من أحسن الناس نية واعتقادا وجميل ظن . ويبذلون النفس والنفيس للحصول على كل ما توهموا عنده سرا من أسرار الطريقة . فيتظاهر لهم طبق ما تقضي به عليه أغراضه الشخصية بأن لديه الاذن الخاص والعام في الاسم الأعظم وغيره ، وأن عنده من الأذكار ما يستغربونه . والناس كلهم يتشوفون لاقتناء كل غريبة . ويشترط عليهم شروطا في ذكر ما ينتحله لهم من التقولات عن الشيخ وعن خاصة أصحابه ، في ذكر مثل هذه الأذكار المختلقة والمنسوبة لغير الشيخ عند غيرهم ويجعلونها هم من أذكاره . ويتوصلون منهم بدراهم وتحف غالية على عادة الأفاردة أصحاب الأغراض . فهم يخدعون الناس بالله ، ويأكلون الدنيا بالدين ، وهم في ضلال بين بسبب تظاهرهم بما ليس لهم به من إذن في هذه الطريقة التجانية ، وهم بلاشك آثمون بنسبة الشيء لغير أهله تبعا للأغراض الشخصية .

ولقد وقفت على كثير من هذه المتقولات في كتابيش ضخمة قد نقلها ممن هي بيدهم في هذين القطرين جماعة ممن ولعوا بجمع مثل ذلك وقد أعرضت عن الإطالة بنقل ذلك في هذا المؤلف مكتفيا بما ذكرناه . وما نذكره هنا إنما هو للتنبيه على أن ذلك كله ليس من الطريقة في شيء ، وإنما الطريقة ورد ووظيفة وذكر جمعة ، وما زاد على ذلك فهو فضل أو فضول طبق ما قررناه وكررناه .

ولنذكر هنا ما وقفت عليه من أنواع الوظائف التي هي من هذا القبيل ليتحقق الإخوان بذلك ، فلا يلتفتون إليها بحال لأنه لا عمل عليها في طريقتنا التي هي طريقة جد وشكر .

فمن تلك المنقولات التي ليست من الطريقة في شيء :

الوظيفة الكبرى والوسيلة العظمى والفضيلة الأسنى
والدرجة الأسمى والعروة الوثقى .

هي ألف من قول أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم . بعد أربع ركعات ، وألف من صلاة الفاتح لما أغلق بعد أربع ركعات . وألف من لا إله إلا الله بعد أربع ركعات وتسع وعشرون من جوهرة الكمال ، ومثل ذلك من الصلاة الغيبية ومثله أيضا ياقوته الحقائق ، وكذلك مثله يامن أظهر الجميل . قائلا مختلقها إذا دمت على هذا العمل في الليل فإنه يأتيك الفتح بلا تأخير . وقد كذب على الله في نسبة هذه الوظيفة للطريقة .

وظيفة السعداء

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم سبعمائة . وصلاة الفاتح سبعمائة . والهيللة سبعمائة . وجوهرة الكمال سبع مرات .

وظيفة الفقراء

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم خمسون مرة . وصلاة الفاتح خمسون مرة . والهيللة خمسون مرة . وجوهرة الكمال اثنى عشرة مرة .

وظيفة أهل الحقائق

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم خمسة آلاف . وصلاة الفاتح خمسة آلاف . والهيللة خمسة آلاف . وجوهرة الكمال ثلاثمائة .

وظيفة المحمديين المجذوبين

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم خمس مائة . وصلاة الفاتح

خمس مائة . والهيللة خمس مائة . وجوهرة الكمال مرات .

وظيفة الفتح

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم خمس وعشرون مرة وصلاة الفاتح عشرون والهيللة خمسون . وجوهرة الكمال خمس مرات ،

وظيفة الأقطاب

أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم ثلاثون مرة . وصلاة الفاتح خمسون مرة . والهيللة مائة مرة . وجوهرة الكمال اثنى عشرة مرة .

وظيفة الأغوات

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم مائة . وصلاة الفاتح مائة . والهيللة مائة . وجوهرة الكمال إحدى عشرة مرة .

وظيفة الحمد

أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحي القيوم خمسون . وصلاة الفاتح خمسون . والهيللة مائة . وجوهرة الكمال إحدي عشرة مرة .

الوظيفة الوسطى

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحى القيوم مائتان . وصلاة الفاتح مائتان . والهيللة مائتان . وجوهرة الكمال عشرون مرة .

وظيفة الربانيين

أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم خمس مائة . وصلاة الفاتح خمسمائة . والهيللة خمسمائة . وجوهرة الكمال خمسون مرة .

وظيفة الصديقين السالكين

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحى القيوم ثلاثمائة . وصلاة الفاتح ثلاثمائة . والهيللة ثلاثمائة . وجوهرة الكمال تسعة وعشرون مرة .

وظيفة الصبح

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم خمس وعشرون مرة وصلاة الفاتح خمسون مرة . والهيللة مائة مرة . وجوهرة الكمال خمس مرات .

وظيفة الظهر

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم خمسون مرة . والهيللة مائتان . وجوهرة الكمال إحدي عشرة مرة .

وظيفة العصر

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم عشرون مرة . وصلاة الفاتح خمسة وعشرون مرة . والهيللة خمسون مرة . وجوهرة الكمال سبع مرات .

وظيفة المغرب

هي وظيفة الأقطاب المذكورة فيما تقدم .

وظيفة العشاء

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم مائة مرة . وصلاة الفاتح مائة والهيللة ثلاثمائة . وجوهرة الكمال تسعة عشرة مرة .

وظيفة الصمدانيين

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم خمسون مرة . وصلاة الفاتح خمسون مرة . والهيللة مائة مرة . وجوهرة الكمال إحدى عشرة مرة .

الوظيفة الكبرى دون الأولى

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ثلاثمائة . والهيللة مائتان . وجوهرة الكمال عشرون مرة .

فهذه الوظائف ونحوها كله من قبيل المنقول على الشيخ رضي الله عنه . وقد

اختلاق ذلك من يرويها عن العارف الفوتي عن سيدي محمد الغالي بو طالب عن الشيخ رضي الله عنه . وفيه افتراء عليهم فلا عمل على ذلك وبالله التوفيق .

الكلام على الفاتح لما أغلق وما قاله المتقولون على الشيخ رضي الله عنه وكونها أفضل من القرآن وتبرئة ساحة الشيخ رضي الله عنه من هذا الافتراء العظيم .

إعلم أنه قد أشاع كثير ممن لا اطلاع لهم على جلالة الشيخ التجاني رضي الله عنه فى العلوم النقلية الأصلية والفرعية ، وماله من الفتوحات الربانية والمقامات العرفانية ، وتحقيق أصول الدين ، وتمسك بالعروة الوثقى فى رشاده وإرشاده ، وبعده عن سفاسف الأمور ، وتخلقه بمكارم الأخلاق ، واقتدائه في جميع أقواله وأفعاله بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، ما أشاعوه عنه من التقولات . إما جهلا منهم بما تقولوه ، وظنوا أنه يورث العامة اعتقادا جميلا فيه وفي طريقته . وإما قصدا ليوجب انتقادا عليه وعلى المقتدين به . فاختلقوا من عندياتهم ما صار في حيز المناكر المشوهة الوجه المخدوشة من كل وجه . وألحقوا بها ما ليس من الطريقة فى شيء ، وأفرغوه فى قوالب شقاشقهم . واستدلوا على ذلك بما فى كتب الطريقة وتصرفوا فى نقله بزيادة ونقص . كالواقف وقفا ممنوعا فى مثل قول الله تعالى : ويل للمصلين وهذا ونحوه من قلة الدين من هؤلاء المنتقدين . لاسيما منهم من يزعم أنه كان منتقلا بها فرفضها لما اطلع على مثل هذه الخزعبلات ، وأكد للعامة أنها من الأمر الذى لابد من اعتقاده فى الطريقة ، ولا يعد تجانى الطريق إلا من اعتقد ذلك . وهو فى ذلك مفتر على الله فى قلب الحقيقة . إلا ما كان فى ما يرجع لنيل خاصية بعض الأذكار كصلاة الفاتح لما أغلق التى تقولوا على الشيخ رضي الله عنه فيها أنه قال إنها أفضل من القرآن . وقالوا إن هذه المقالة مذكورة فى جواهر المعانى وغيرها من كتب هذه الطريقة . واستدلوا على هذا الاختلاق بما نقل عنه فى نيل خاصيتها من اعتقاد كونها من كلام الله . وقامت قيامة النكير منهم على ذلك وأعانهم عليه قوم آخرون بما جر ذيله على سائر كتب الطريقة . وسب الشيخ وسب أهل الطريقة وتضليلهم

بوقاحة ما عليها من مزيد في غسل وجوههم من الحياء من الله ومن رسوله ومن المؤمنين ، وقد انحاش لهذا الفريق عميان العامة الذين لا يعدون في العير ولا في النفير .

ولكون هذه المسألة من أهم المسائل التي يجب الاعتناء بها بتحقيق الحق فيها أفردت بالتآليف . فألف فيها جماعة من الإخوان في الانتصار لبركة الوقت المفتوح عليه الشيخ المعمراني التمح النظيفي بما ظهر لكل واحد منهم . وقد ضرب لي سهم معهم بتوليف سميته الحق المبين في انتصار التجانيين على المستهزئين المستهترين من علماء القرويين . صدرته بالفتوى التي أفتوا بها في حقه . وبينت فضولهم بذكر مالم يقع السؤال عنه ، مع تحقيق غلطهم وسوء نيتهم الذي حملهم على حملتهم التي رجعت الكرة فيها عليهم في أول مرة . ثم لما لم يقبل منهم ما اجترؤوا في قولهم به ، صاروا يتساءلون لماذا يتبرأ كل واحد مما قال ، معتذرا بأنه كان فيه مدفوعا الإنكار والفتوى بغير الحق . فكان المعتذر منهم شبيها بغاسل دم ببول ، وهو مما أصابه من الأسف على ما صدر منه في هول .

ولبيان الحق في المسألة تعين علينا أن نشير إليها هنا باختصار ، لأن المقام يحتاج إلى بسط . وقد ذكر في غير هذا المحل . فنقول :

أولاً : إن الشيخ رضي الله عنه لم يقل بأن الفاتح لما أغلق أفضل من حرف واحد من القرآن ، فأحري أن يقول هي أفضل من القرآن ، وإنما المنقول : تلاوة الفاتح في حق بعض الأشخاص أفضل من تلاوة القرآن . وفرق في التفضيل بين التلاوة وجوهر المتلو . وقد عقد في الإحياء فصلاً في مثل هذا الموضوع . وذكر ما ورد عن النبي رضي الله عنه : رب قارىء القرآن والقرآن يلعنه . ولا شك أن لعن القرآن لبعض قرائه شيء عظيم . والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مطلقا ما فيها لعن لتاليها ، وقد تجري أقسام الحكم الشرعي في حق تالي القرآن . فيحرم عليه قراءته في بعض الأحوال ، بخلاف الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما

ذكرت صلاة الفاتح في هذا المحل بالتخصيص لزيادة فضلها على غيرها من صيغ الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم ، وفضلها لا ينكره إلا من ينكر العمل بالمبشرات للصالحين بالأعمال الصالحة ، وإن كنا نقول لا يثبت ذلك على وجه الحكم الشرعي في عمل من الأعمال ، وقد أفتى الفقهاء رحمهم الله في بعض الأعمال بأن العمل بها أفضل من الاشتغال بتلاوة القرآن ، وقد نقلنا في كتابنا المسمى بالحق المبين طائفة من فتاويهم المعتمدة عند المتقدين وغيرهم .

وأما ثانيا — فإن اعتقاد كونها من كلام الله على فرض ثبوت ذلك عن الشيخ رضي الله عنه ، بأن ذلك لا يوجب قدحا في كلام الله أو يلزم منه ما ألزموه من الوحي بها على غير النبي بمقتضى قوله تعالى : (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أوقال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) فإن الاستدلال بهذه الآية موضوع في غير محله . فإنها نزلت في حق معاند عاند الله ورسوله . وإن كان سبب النزول لا يمنع من حمل اللفظ على مثل المنزل فيه كما قرره علماء الأصول لأنا نقول حاشى الشيخ رضي الله عنه ، وحاشى أجهل جاهل من أصغر أصحابه ، من ادعاء نزول الوحي عليه . أو يعاند الرسول بادعاء إتيانه بمثل ما أنزل الله . وإنما المقصود أنها برزت من حضرة الغيب كما تبرز الأحاديث القدسية من حضرة الغيب . والمشبه لا يقوى قوة المشبه به . والله سبحانه ضرب مثلا لنوره كمشكاة فيها مصباح وإن كان الحديث القدسي جاء به من حضرة الغيب ، النبي المعصوم من الخطأ في التلقي والإخبار به عليه الصلاة والسلام ، ولا كذلك المخبر هنا فإنه يحتمل الصدق والكذب مثل سائر القضايا التي لم يخبر بها المعصوم . لأنا نقول اعتقاد كونها برزت من حضرة الغيب مشروط في نيل فضلها لمن صدق به واعتقده . وأما من لم يعتقد فضلها فكيف يمكن منه أن يصدق خروجها من حضرة الغيب ، وإنما هو محروم من فضلها فليس من أهلها . ولقد أقضي الجهل بمن أنكر خروجها من حضرة الغيب ، بأن قصروا كلام الله في القرآن ، وأن القرآن هو كلام الله ، ولا يكون من

كلام الله غيره ، فغفلوا عن الكتب المنزلة والصحف التي جاء بها من نزلت عليهم من الأنبياء ، ولم يعلم المنتقد أن جميع ذلك لم ينحصر فيه كلام الله ، مع أن الله تعالى متكلم في أزله وهو متكلم أبدا سرمدا بغير صوت ولا حرف ولا تقديم ولا تأخير ، كما هو مقرر في كتب الكلام . وقد يكلم سبحانه غير الأنبياء ، ولا مانع من ذلك ولا يعد ذلك وحيا ، إلا من تكلف وتعسف وحرف الكلام عن مواضعها ، وكدر الأعلام ولم يشم رائحة مقام الإحسان ، الذي أشار له سيد الأنام بقوله في جوابه عن سؤال جبريل عليه السلام له عن الإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . وما ورد من المناجاة في الصلاة ، فإن أهل الله في هذا المقام متفاوتون وبالمناجاة متوطنون ، كل على قدر تمكنه في ولاية الحق له ، وقد طلب غير واحد رفع الحجاب عنه ليرى الحق حقا ، حتى قال العارف الشهير أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في حزبه الكبير : وهب لنا مشافهة تصحبها مكالمة ، وهاهنا كلام طويل بسطناه في كتابنا الحق المبين المذكور . ولقد نوع هنا المنتقدون تقولاتهم على الشيخ رضي الله عنه ، ونسبوا إليه ما ذكر في بعض الكتب المؤلفة في الطريقة ممن ضاقت فيها عباراتهم ، ففهموها على ظاهرها وزادوا بشرحهم لها بما قامت به قيامة المنكرين ، ولقد اكتسب عميان العامة وصبيان الطلبة جراءة إطلاق ألسنتهم في الطريقة ، حتى أن بعض السفهاء منهم ممن لا ديانة له ، تعرض لشيخنا العلامة الرئيس ، سيدي الحاج عبد الكريم بنيس ، وهو مار في الطريق وألقى عليه سؤالا كالمتهكم عليه ، هل بالفقيه تصح الصلاة بدلا عن قراءة الفاتحة فيها بصلاة الفاتح وأعرض عنه الشيخ المذكور عملا بقوله : وأعرض عن الجاهلين . فهذا ومثله مما أنتجته قضية اجتماع علماء القرويين في إفتائهم عن السؤال المرفوع إليهم في شأن ما ألفه المقدم البركة الشيخ أبو الفتح النظيفي المذكور ، خصوصا دليله الذي سماه العطر الفائح ، والله يعلم المفسد من المصلح وهو أعلم بالمهتدين .

الكلام على الاسم الأعظم وما تقوله المتقولون فيه عن الشيخ رضي الله عنه

إعلم أن هذا هو البحر المتسع العميق ، الذى خاض فى لججه الطامية نفوس أصحاب الأغراض الشخصية الدينية والدنيوية ، فغرقت فيه سفنهم التى اقتحموا بها تلك اللجج عن غير خبرة ، مع تلهف كثير وادعاء للوصول إلى الظفر بالضالة المنشودة من الاسم الأسمى الذى لم يظفر به إلا من خصه الله به ، وقد حرمه من يدعي الحصول عليه والوصول بين الخواص إليه ، أو يتظاهر فى مظاهر ذوى الخصوصية به ، وعند ما يشكك فيه ينفعل بالتشكيك ، لأنه لم يحصل على طائل في ذكره ولا ظفر بثمرة من سره . وهكذا حال جل من ادعى أنه عنده ، ولو ادعى أنه بلغ به قصده فهو غار مغرور . وقليل من قبل نصح من نصحه فى ترك الخوض فيه ، والإقبال على الاشتغال بالأهم والسلوك فيه مع الطريق الأقوم .

ولقد سنح لي أن أنصح لمن فيه قابلية قبول النصح من الأحباب والإخوان ، خصوصا ممن لهم اعتقاد فى جانبى ، ليتحققوا بكون التقولات مع الدعاوى المزيفة في هذا المقام لا تجدي نفعا ، فيردوها على أوجه قائليها ، ولا يرفعون رأسا لمدعيها ولا لسائليها ، وذلك أن الاسم الأعظم لا يعرفه إلا واحد كوشف له فى اللوح المحفوظ عن المطالب التي يدعو به فيها ولا يدعو في غيرها ، وقد قضت حكمة الحق أن لا يوفق الداعى به إلا فيما قضي الله الاستجابة فيه ، ولا يسوق لطلب الدعاء منه إلا من قضي الحق قضاء مطلبه وإلا صرف عن الدعاء به ، وهذا فى حق من عثر عليه أو لقنه له من اتصف بهذه الأوصاف ونحوها . وإلا لصرف الحق وجهته عنه بتشكيك إلى غيره من الأسماء مع كون ذاكره مشروط عليه أن لا يدعو به فى غرض من الأغراض وإلا جنى على نفسه بما لا قبل له به من صاحب التصريف به فى وقته وهو قطب زمانه ، ولا يمكن العثور على هذا الاسم لطلاق الناس ونهاية ما يحصل عليه من زعم أنه تلقاه من الوجه الذى لا يداخله فيه شك ولا ارتياب ، هو أن يصاب بالوهم حتى تستولى عليه الأوهام فتشغله عن مهمات أموره ، وطلب الإقالة فلا يقال

ويدخل في حضرات الحال . ثم يداخله أيضا الشك هل هو الاسم الأعظم أو غيره ، فيرجع عن اعتقاده فيما كان يظن أنه هو الاسم ، وهكذا . وقد امتحن بهذا الأمر كثير من الناس من إخواننا وغيرهم . ونصحنا لمن هيأه الله لقبول النصيحة في طلبه وترك ذكر ما زعموا أنه هو الاسم الأعظم ، فمالزم الحق من ذكر ألفاظ لا يفهمون معناها ، وأسماء يجهلون مبناها ، وربما كانوا على بصيرة من سر الحرف وفنه ، فاستدللنا لهم على مانصحنا لهم به فقبلوا ، وصارت الأوهام تنجلي عنهم بحمد الله .

ولست هنا بمدع لنفسي أني أعرف هذا الاسم الأعظم الذي يستجاب للداعي به في الحين من غير شرط ، ولو أني قد خضت في علم الأسماء منذ نعومة أظفاري ، ولكني أقول إن الأسماء التي يزعم من حضوا عليها أنه فيها هذا الاسم الأعظم ليس هو منها في شيء ، وربما أطلقوا هذا الاسم الأعظم على جل الأسماء . وكلها بلا شك عظيم ، لاسيما الجامع منها لأسرارها عند علماء الظاهر وبعض علماء الباطن من السادة الصوفية . ولكن الاسم الأعظم بإطلاقه الخاص ، إنما هو الاسم الذي يستجاب به في الحين . وليس هو طبق ما كشفنا عنه الحجاب في كونه لا يلقنه مطلق الناس ، ولا يعثر عليه من لا ينكشف له ما في اللوح المحفوظ بلا التباس . والأولى والأفضل والأكمل لمن أراد السلامة لنفسه ، أن لا يلقي دلوه في هذا البئر السحيق ، من بين دلاء أصحاب الأغراض ، وأن يعرض عن تطلب هذا الاسم لا من الخواص ولا من غيرهم أي أعراض ، وليشتغل أولا بالمفروضات عليه ، ثم بأذكاره في الطريقة التي يحصل له بها الفتح والنجح والربح الدنيوي والأخروي . ومع هذا كله فإني أملي يقيني من وجود بعض المتعصبين في دعاويهم ، بأن ما قررناه غير مقبول ، لتحققه بجهلي بما لديه أو سلبي من التصرف بما يتصرف به هو طبق ما هو عليه . ومن ورائه جماعة ممن يتقدمون على الطرق يضحكون عليه ، ويستهزئون به ، وهو مع مثاله في عمائم يعمهون .

ولكني لا أدع هذا التأليف خاليا من ذكر ما يذكرون أنه هو الاسم الأعظم

فى زعمهم، وما يدعون أنه من الأسرار طبق ما بلغوه من ذلك في علمهم. فالمشرع في ذكر ذلك إتماما للنصيحة والله الموفق.

الكلام على الأهمية، لمنقول على الشيخ رضى الله عنه أنه كان يقول إنها الإسم الأعظم. وما تحت ذلك من الأهمية.

إعلم أنه قد ادعى كثير من المولعين بالبحث عن الإسم الأعظم أنهم عثروا عليه فتشوفت العامة إلى معرفته فتملقوا بهم ليدلوهم عليه. وقد تمسك منهم فريق بفريق

وكل يدعى وصلا لليـــلى وليلى لا تقـــر له بذاك

وقد تقول بعض المقدمين في الطريقة بأن الإسم الأعظم الذى كان يذكره الشيخ رضي الله عنه هو الحروف الأحد عشر التي هي: « أهم سقك حلع يص » في إحدي الصيغ المنوط بها المعبر على حروفه كلها بالأهمية.

وكل لا مستند له فى ذلك، سوي روايات يتناقلها البعض عن البعض من غير سند صحيح يوصلها إلى الشيخ رضى الله عنه. وبعضهم يقول إن هذه الحروف منقولة من كتاب حكمة أفلاطون الكبرى. وبعضهم يقول إنها مروية عن كتاب العارف بالله الكنتي رحمه الله المسمى بالترياق. وبعضهم ينسبها لغيرها ويقول إن تلك الحروف رمز على الإسم، وصيغة النطق به محجوبة عن هؤلاء المنقولين بأنها كذا أو هي كذا على حسب ما يتقولونه من الخواص والأسرار لتراكيبه، ويبنون على ذلك أهمية كبري في الدعاء به وذكره مع بعض الدعوات الممزوجة بتلك الحروف ويعدون ذلك من الأسرار التي لا تفشي إلا لخاصة من الخاصة؛ ويزعمون أنهم من الخاصة حيث اطلعوا عليه. ويموهون بشأنه فى العموم، فتتشوف النفوس للتحصيل عليه، وهنا يجد الأفاردة الذين يستولون على عقول المشاهير على معرفته مجالا واسعا فى الاستيلاء عليهم بما ينالون به منهم بعض الأغراض. ويلقى منشئ معرفته لطالبيه ما شاء من صيغ، وما شاء من أعداد يتلونها من ذلك ألفاظ لا تفهم وصيغ لا تعلم. وربما زعم أنه استخرجها من اللغة السريانية أو العبرانية أو من أي

لسان يلبسها إليه طبق ما ظهر له إلى اللغة العربية . فيستعظم أمره السامع المتلهف على معرفته ، ويكتفي منه هو بتأديه معه واعتقاد خصوصيته . وللناس في مثل هذا حلاوة في المذاكرة وتخاتل في المخابرة وتخاذل في المناظرة ، وكل يعمل على شاكلته مما يدعو إليه داعية ضياع الوقت في غير طائل ، في البحث عن تحقيق هذه المسائل .

فلذلك يتعين على المريد أن يشتغل بعمارة وقته بما يجديه نفعا ، في الذكر والمذاكرة والتذكير والتذكر في آيات الله ، والإكثار من صلاة الفاتح لما أغلق ، بعد القيام بالواجبات بقدر ما في الوسع . ولا يغتر بالمتقولين الذين لا علم لهم ولا معرفة لهم بالحقائق ، ولو نفعوا أنفسهم لكان أولى لهم قبل السعي في نفع الخلائق .

فالأهمية الكبرى هي في الإعراض عمن يزعم معرفة هذه الأهمية ، وترك مثل الاشتغال بذكر هذه الألفاظ العجمية ونحوها من حسن إسلام المرء وفي ذلك سلامة له في الدنيا والدين ، وفي العقل والحفظ من التابعة في النفس والأهل .

وقد اعتنى كثير من ذوي الفضل بهذه الأحرف فنوهوا بشأنها وعظموها إجلالا لما نسبت إليه ، وقد توج بعضهم بها رؤس أبيات بقدر عددها ، فمن ذلك قول بعضهم ، ونسبها بعضهم للشيخ رضي الله عنه وليس من كلامه قطعا :

أعوذ بالله من كيد العدا أبدا	وشر ما عقدوا فاستحكموا العقدا
هب لي عليهم نصرا غير منصرم	كنصرك الأنبيا على العدا عددا
مزق جميعهم فرق جموعهم	يارب شتت وبدد شملهم بددا
سلم عبيدك منهم ياسلام فلا	تظفر بعبدك اظفر العدا أبدا
قنط جميعهم يأسا وقل لهم	موتوا بغيظكم بعدا لكم بعدا
كونوا الحجارة أو كونوا الحديد فقد	رددت كيدكم في نحركم صددا
حصلته بسيوف القهر ليس لكم	على عبيدي إلا اليأس والكمدا
لقد دعوتك باسمك العظيم أجب	لي يامجيب فلا تخلف لي الوعدا
صموا وصموا وطاهوا محرصين ولا	هم يهتدون وحلوا في الهوان سدا

يارب مزقهم في الذل كلهم   هم الفراش وجمر المغنة اتقدا
صولوا عليهم يا أهم ويا سقك   لا تبق يا حلم يص منهم أحدا

فهذه الأبيات تعرب بركاكتها ، مع ما انطوت عليه من الدعاء على الغير بالوبال والهلاك ونحو ذلك، وتفصح بلسان الحال ، عن أنها ليست من نفس الشيخ رضي الله عنه وكان من حق من نسبها للشيخ رضي الله عنه ، أن ينزه جانبه عنها . وقد اكتفينا بنقلها هنا لبيان كونها ليست من نظم الشيخ رضي الله عنه، وقد تقولها عليه من نسبها إليه . وتحت يدنا كثير من مثل هذا التنويج ، ضربنا عنه صفحا قصدا للاختصار .

وقد تفنن كثير ممن ولعوا بنسبة الأذكار للشيوخ بترصيع أدعية تضمنت حروف هذا الاسم . نذكر منها ما نسب للشيخ رضي الله عنه ، تنزيها لساحته من ذلك ، وإن كانت مفروغة في قالب التضرع والابتهال . والأولى لمن أراد السلامة لنفسه تركها على كل حال . فمن ذلك :

اللهم إني أسألك بألف ألوهيتك يا ألله . وبهاء الهداية ياهادي ، وبميم الملك يامالك ، وبسين السلامة ياسلام ، وبقاف قهرك يا قهار ، وبكاف كفايتك يا كافي ، وبحاء حلمك ياحليم ، وبلام لطفك يالطيف وبعين علمك ياعليم ، وبياء يمنك ياأمين وبصاد صمدك ياصمد . يا ألله يا واحد يا أحد يا كافي ، أنت إله من في السموات والأرض ، وأنت الحاكم عليهما يا ألله ياهادي يامؤمن يامهيمن : اللهم ياسلام سلمني من آفات الدنيا والآخرة ياقهار اقهر عدوي واجعلني قاهرا غير مقهور . واكفني شر ماقضيت، ياسلام ياقهار ياكريم ياكفيل ياخشفيائل، اللهم ياحليم ياعليم يالطيف الطف بي بلطفك يالطيف وعلمني الغوامض ، واعف عني ، واجعل لي حنانة في قلوب عبادك ، واحملني حنانا اليهم ، أجب يامهقيائل اللهم يامكون الأكوان، ويامسير الأعمار ، ويامصور المصورات ، وياخالق الأرض والنبات ، أمت عدوي ياشديد البطش ، أجب ياسمقائيل ، بحق هذه الأسماء ، يا ألله ياهادي يامؤمن ياسلام ياقهار يا كافي ياحليم يالطيف ياعليم يا أمين المن ياصمد . والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما هـ .

فأنت ترى هذا الذكر المزخرف بهذه الحروف ، وقد اشتمل على ألفاظ عجيبة لا يدري معناها ، فالأولى الاعراض عنه وعدم الالتفات إليه بحال . فإنه ليس بصحيح الرواية عن الشيخ رضى الله عنه ولا من إنشائه ولا من أذكاره وفى هذا كفاية .

الكلام على قول دآئرة الاحاطة ومفتاح القطبانية .

كثير من الاخوان يبحثون عن قول دائرة الاحاطة ، وعن مفتاح القطبانية وقد صرف الوجهة للتحصيل على ذلك المولعون بالمستغربات من الأذكار والأعمال والأسرار ، تشوقا منهم للاستطلاع على ذلك ، وعلى ما وراء ذلك من الخصائص ، والتحصيل على التصرفات بذلك فى إحراز المطالب والمقاصد والأغراض التى تهمهم من أمور دنياهم . وقليل منهم من يقصد الأجر الأخروي فى ذكر ذلك إن عثروا عليه . وقليل من قليل من وفقه الله للوقوف عليه ، وغالب من عثر يداخله الشك فيه لكونه لا يأذن في ذكره المحصل عليه مطلق الناس ، ولهذا كثر طلبه من الباحثين على الأذكار وغرائب الأسرار ، وكثر التقول فيه ممن يدعي معرفته ، ويزداد السامع به تشوقا وتشوقا لمعرفته ، فيتعلق بالمحققين والمبطلين متلهفا على التحصيل عليه لتلك الأغراض وعند ذلك تجد المدعين لمعرفة الأذكار الخصوصية يقولون هو كذا ويتقولون فيه على الشيخ رضي الله عنه وخواص أصحابه ما لم يكن شيء من الطريقة ولا هو من أذكارها ، ولا هو من أعمالها . ويترك المريد المتعلق به للآخذ عنه يخبط خبط عشواء في الليلة الظلماء ، بذكر ما لا أصل له ، ولكن ليس هو بمفتاح ولا غيره ، ويزيده تشويقا بذكر خصائص مستغربة في ذلك ، لتقولات لم يوفقه الله للتوبة من التصريح بها عن غير علم ، ولا وقوف له على الحقيقة فى هذه الطريقة .

فلا ينبغي للمريدين أن يتشوقوا لمثل هذا ، ولا تصديق من يدعي معرفته . لأن العارفين بذلك ملزومون بكتمانه ، والمحروم منهم من أفشاه لمن لا يستحقه ، لأنه

خان في الأمانة التي تلقاها عن أهلها ، ولسان غالب من يعرفه ينشد :

ومستخبر عن سر ليلى رددته بعمياء عن ليلى بغير يقين
يقولون خبرنا فأنت أمينها وما أنا إن خبرتهم بأمين

ولقد وقفت على صيغ من ذلك ، ومقالات وتقييدات لا يتحقق المقصود منها لطالب ذلك وما هي إلا من وضع المختلقين في الطريق ماليس منها . فلا ينبغي الاعتماد على شيء من ذلك . والأولى بالمريد الموفق ، الإكثار من صلاة الفاتح لما أغلق ، أولى من ذكر ما يقال فيه إنه قول دائرة الإحاطة ، أو اسم دائرة الإحاطة ، أو غير ذلك مما ينسب للإحاطة . وقد اضطربت الأقوال في ذلك من غير بيانه ، حتى في جواهر المعاني ، فقد سماه بأسماء ، وهو من أذكار الشيخ قدس سره ولا يشاركه في ذكره إلا القطب . ومن هذه الأقوال ، أنه هو نفس الاسم الاعظم ، وهو خليق بذلك ونحن نذكر هنا ما يروج بين يدي الإخوان في تعيينه مما نسرده ، والعهدة عليهم عما أضاعوا في عمرهم في ذكر شيء من هذا كله .

وإن سبيلي واضح لمن اهتدى وقد ضل في نهج السبيل من اعتدى

وهم الخائضون فيما لا يعنيهم ولا يغنيهم ، وليس هو من الذكر في شيء ، وما أري تلقين اسم ملفق من هذه الحروف وغيرها ممن يأذن فيه ، إلا مثل من لقن لأحد المريدين ، يا بعصل يا بعصل ، ففتح عليه فيما يقال لصلاح نيته لامن أجل اسم بعصل الذى كان يذكره .

ولقد بالغت في نصح الإخوان في الإعراض عن ذكر الأسماء المحجبة ولو فسرت باللفظ العربي ، لأن اللسان قد يخطىء في النطق بها ، فيكون بتصحيحها حولها عن معناها فيحصل فيما لا تحمد عقباه .

ولقد وقفت على كثير من هذه الأسماء . ولنذكر هنا بعضها ، ليتحقق المطالع الذي يدعى أنه له علم بشيء منها ، أنني غير مدع في الوقوف على ذلك ولا أتأسف إلا لنسبة ذلك الجانب للشيخ رضي الله عنه . إلا بعض الصيغ الأعجمية المرموز عليه

بها فقد وقفت عليه بخط الواسطة المعظم سيدى محمد بن العربي الدمراوي وحلا الشيخ أيضا متحققا بأنه ليس هو الإسم الأعظم ، لأن الإسم الأعظم يستجاب به في الحين كما أشرنا إلى ذلك . ويتحقق بذلك كل عارف ، جعلنا الله من عارفيه آمين فألق سمعك لما أقصه لك من ذلك حتى تدع عنك الأوهام، لتكون مريدا فى الطريقة من الخواص لا من مجرد العوام . فمن ذلك :

ام سقك حلع يعس

الف

طهور بدعق محببه صوره محببه سقفا طيس سقاطيم

احون قاف ادم حم ها امين

هله هو الله

اهال هاله هوه

اهوال ابوال ذو الجلال والاكرام

غوه هوه هو الله

الله اهيل هل له إيل هاهل

اه اه كن اهلله

هال هال الله تة له هو الله

يا الله هال ايه يه هوه هلله

بصلح حمك قاع

الم كهيعص طس حم عسق

ال كهيعص طس حم ق ن

أهلل نكمد جبنج كن ليل يعس احكام

ها هوه هلهل اهلهاوه

ها ما متبغنتم هله

هيمكد يش

نجت هبهت هبع هلله
كمكس لطلهون
شقشوق ظنشش يقال هذا الاسم الخاص بفاتحة الكتاب
ففج محمت
املهن فج بديع حق
يا مورطيشا ما طيهوج
يا كاظا موزغل

فهذه ثمانية وعشرون مما تحت يدنا مما يذكر فيها أنها هي الاسم الأعظم ونسب القول بذلك للشيخ رضي الله عنه . وهو شيء متقول عليه ، إلا ما كان من الكلمات القرآنية فهي تذكر للتعبد وفيه كفاية .

ومن الأذكار المنسوجة على المنوال المتقدم في الأهمية ، هذا الذكر المنسوب للشيخ ، وهو من المتقولات عليه . فالأولى عدم الالتفات إليه بحال ونصه :

اللهم إني أسألك باسمك الأعظم وسلطانك الأقوم ، وكمال وجهك الأكرم أسألك بأذا الأسماء الحسنى والصفات المقدسة والعز الأسنى ، أن تجعل الألف المستقل ركن تألهي ، والحرف الهوائي قبلة توجهي ، والميم النوراني المحيط ، والسين الناعل الشمشاني بسيط درعي ، تحمي من المخاوف ، ومعقل مأمني من المتالف ، والقاف القائم بقيومة الكون ركني ، والكاف الكافي للنائبات حصني ، والحاء الحامية من الطوارق والبوارق حمايتي ، واللام اللاهوت الساري سر تجليه في الملكوتيات وقايتي ، والعين الكافل بعصمة العناية الميانية مددي ، والياء الموافق بالتأييد والأيد طوع يدي ، والصاد الصداقة الصديقية تصديق صدق كشوف حقائق المعارف دليلي ، وقائدي إلي تدقيق تحقيق سلوك سبيلي ، يا من سمك حلم بعض ، أسألك باسمك الذي تجليت به على العرش فارتعد هيبة وجلالة ، وعلى الكرسي فارتعش خشية وإذلالا ، وعلى السماء فأمطرت عذبا زلالا ، وعلى الأرض فانشقت ، وازينت فرحا ودلالا ، وعلى الأرواح فخشعت ، وعلى النفوس فذلت

وخضعت ، وعلى الملائكة فاستسجدت وطأطأت ، وعلى الجن فاحترقت بنوره اللامع وخافت ، أن تسخر لي أجناس العالم تسخيرا تخترق به العوائد الطارية ، حتى تذعن لي الرقاب العاتية ، وتخضع لي القلوب القاسية ، ياديمومي ياحي ياقيوم ياذا الجلال والاكرام . والله الموفق .

لاحقة من حقها أن تكون سابقة .

لا يخفي أن النفوس يثقل عليها دائما القيام بما هو حق طبق المطلوب وتستحلي دائما الميل إلى ما فيه راحتها ، من نقل أداء اللازم لها ، وتتشوف دائما للتخفيف مع التلهف على حصول المزايا ، على عادة الذين يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا . فيتمسكون بالحبال المدلاة لهم من أفق الطرق السالكين فيها . فيعملون على حسب أغراضهم وما تبدى لهم على وفق اعتقاداتهم ، وكل يعمل على شاكلته . وقد سلك على هذا المسلك جماعة بنية صالحة ، فكان لهم حظ وافر من الخير مطابق لاعتقادهم والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

وقد ورد عن جابر بن عبد الله وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من بلغه عن الله عز وجل شيء فيه فضيلة فأخذ به إيمانا به ورجاء ثوابه كان له ذلك وإن لم يكن كذلك . وفي بعض الآثار : لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه .

فمن عمل عملا صالحا بنية صالحة فهو معذور ، وإن قيل فيه مغرور ، تمسكا بما قيل : من خدعنا بالله انخدعنا له . وإنما الدرك على من يحل ما ابرم من حبل الإيمان ، ويعقد بما انحله عقدة الشيطان ، بالتقولات المكذوبة على أهل الله في نسبة فضائل لا أصل لها فيما اختلقه هو واختلقه غيره لمقاصد له حظ معه فيها ، مما يذهب بنورانية الأذكار التى قررها من عامل مولاه فيها بالصدق ، وقصد بها وجه الحق في نفع الخلق . فهذا لا كلام لنا معه في ما تلقاه عن أربابه الذين عرفوا ماقصدوا وهان عليهم ما وجدوا . وإنما القول مع من أعرض عن الجلي إلى الخفي .

فكان معولا لهدم ما بناه مما شيده من المعروف ، بالسعى وراء المنكر الذي يقف به على شفا جرف هار لجهله به أو لمكر قدر عليه . نسأل الله السلامة . ولهذا ينبغي للمريد ، أن يقف موقف الاحتياط لنفسه ، فلا يترك اللازم في طريقته بما تنحل به عقدة عهده ، كالأخذ عمن تظاهر بالتلقين بتخفيف الورد مثلا بعشرة في المائة ، ويكون هذا الذكر يقوم مقام الوظيفة ، وهذا الذكر يكفي عن ذكر الجمعة ، ونحو ذلك من التقولات المفتراة فليحذر كل الحذر من هذا .

الكلام على ماقيل في الاستخدام بصلاة الفاتح ورياضتها وما تقولوه فى ذلك

لقد تظاهر بعض المنتسبين للطريقة التجانية ، القاطنين بالنواحى البعيدة عن الزاوية التجانية بفاس ، مع الذين يدعون التقديم للتلقين فى هذه الطريقة ، ويجولون فى الأقطار لما لهم فى ذلك من مختلف الأوطار ، بادعاء الخصوصية لأنفسهم والحصول على ذخائر الأسرار . فصاروا يتقولون على الشيخ رضى الله عنه من العجائب والغرائب ما هو جدير بالإنكار من أهل الطريقة فضلا عن غيرهم . ومن جملة ما نخصه بالذكر هنا ، ما انتحلوه فى استخدام صلاة الفاتح لما أغلق لنيل مطالبهم إذا ذكرها الذاكر بنية خصوصية وكيفية خصوصية . قال المتقولون من ذكر صلاة الفاتح في رياضتها الخصوصية فإن الله يستجيب دعاءه . وذلك بأن :

يذكر يوم الأحد : اللهم صل على سيدنا محمد ، عند طلوع الشمس سبعمائة مرة وأربعا وخمسين مرة (٧٥٤) على طهارة ، بعد التعوذ والبسملة ، والاستغفار إلى الحي القيوم ثلاث مرات ، وصلاة الفاتح تامة ثلاث مرات أيضا ، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون إلى العالمين آمين مرة ، ويذكر العدد المذكور . ويذكر بعد الفراغ منه حاجته فإنها تقضي بحول الله . والعدد المذكور فى يوم الأحد للصيغة المذكورة من غير إتمام صيغة الصلاة .

ثم يذكر يوم الاثنين : الفاتح لما أغلق . لا غير ، ألفا وخمسمائة وإحدى

وتسعين عند الضحى كذلك .

وفي يوم الثلاثاء : والخاتم لما سبق . في نصف النهار ، ألفا وخمسمائة وعشرين كذلك .

وفي يوم الأربعاء : ناصر الحق بالحق ، عند الظهر ، خمسمائة وتسعا وعشرين كذلك

وفي يوم الخميس : والهادى إلى صراطك المستقيم . بين الظهر والعصر ، ألفا ومائتين وثمانية وعشرين كذلك .

وفي يوم الجمعة : وعلى آله حق قدره . عند العصر ، خمسمائة واحدى وستين كذلك

وفي يوم السبت : ومقداره العظيم . عند غروب الشمس ، ألفا ومائتين وستة وسبعين كذلك .

فقد ذكروا أن هذه الكيفية من الأسرار مع أنها من التقولات في الطريقة فلا ينبغي الاعتماد عليها .

الكلام على حزب البحر ومايدعيه بعض المقدمين من الإذن الحاصل لهم في قراءته بعد ثبوت رفع الإذن فيه عن بعض أصحابه .

من المقرر عند الخاصة من المقدمين في الطريقة التجانية ، أن الأذكار اللازمة وغير اللازمة لا تذكر لخاصية من الخواص ، ولا يقصد التصريف بها في جلب أو دفع . إلا ما كان من اسم اللطيف وبعض الأذكار المنوط سر خاصيتها بالتحصين من الأعداء ، فإن ذكر ذلك من الأذكار المأذون فيها بالإذن المتصل بالشيخ رضي الله عنه ، وغير هذين من الأذكار فلا يذكر لخاصية ، قطعا من الشيخ رضي الله عنه لمادة التصرف بالأسماء وغيرها . لكون طريقته غير مبنية على شيء في ذلك ، خشية الوقوع فيما لا تحمد عقباه . لأن المتصرف بذلك على خطر عظيم ، والمتشوف لذلك على شفا جرف هار . لكونه صاحب أغراض لا يسلم قلبه من أمراض لا ترسخ قدمه في الطريقة ، ولا ينتفع بأذكارها ولا يظفر بأسرارها ، ولا وقوف له في مقام الصدق ، فهو مذبذب الأحوال . ولذلك نهى واسطته المكرم سيدى محمد بن العربى

الدعاوي من التصرف بالتنفير الذي كان يستعمله بعرابي من أصحابه ، وقال له الشيخ رضي الله عنه : إن أردت معرفتي فاترك عنك هذه الأمور . فتركه وما عاد إليه .

ثم لابد من أحد أمرين للخائض في هذه التصرفات إذا كان من المقدمين : إما أن يساء به الظن ، فلا تحصل لآخذ الطريقة عنه ثقة به ، ولا يزال الحال به مما يراه يخوض فيه إلى أن يترك الطريقة رأسا ، خصوصا إذا لقنه شيئا من تلك الأذكار ذات الخواص ولاتقع له إجابة فيها . وإما أن تعود نفس ذلك المقدم الخصائص الكاذبة والدعاوي المريضة بين ذوي القلوب المريضة ، وربما استولى على نفوس أصحاب الأغراض بما يقوم به من الذكر لقضائها (بقدر ما) (١) فوى ما في أيديهم من الأجرة على ذلك ، فيكون آكلا لأموال الناس بالباطل في قضاء أغراضهم ، وليس بيده شيء سوى كثرة المواعد . وإذا صادف قضاء غرض من أغراض المتعلق به ولو كان على غير قصده ، تبجح بكون أذكاره بها نال ذلك وربما لقن أيضا ذكرا من تلك الأذكار لطالبها وهو يمنيه بالإجابة فيها ويعده بالتصرفات في الكون ، ومايعده الشيطان إلا غرورا - وعلى فرض تحصيله لتصرف في النفوس ، فلا بد أن تتشوف نفسه للقيام بما تقضي به عليه سيطرته بالوقوع في أمور عليها مدار نيل الأغراض يدور . فيدعى ما يدعيه ، وأقل ما يدعيه الولاية بالكذب . مثل ماوقع لكثير ممن خاض في علم أسرار الحروف والأوفاق ونحو ذلك من أنواع فنون السيميا . مثل الشيخ بل بن عزوز الذى قال فيه الشيخ رضى الله عنه بل بن عزوز شيطان هذه الأمة . لكونه ادعى المشيخة بالكذب ، حيث كان يظهر خوارق العادة بالتصرف بمثل ذلك ، فاستولى على قلوب أتباعه بذلك ، وجلب قلوب بعض الناس إليه . وحصل من بعض الناس نفور منه وإطلاق الألسنة في الشيوخ ، واتهموهم بجرفته من تعاطى المشيخة بمثل ما قام به وأظهره لأغراض خصوصية .

وكثير من الذاكرين للأغراض لم تسلم لهم عواقب ، إما بحمق يصيبهم أو تصيبهم

---

(١) بياض بالأصل

تیامات في نسلهم ، أو نزل بهم مصائب لاقبل لهم بها . وقد يخرجون بذلك عن طاعة الأمير ، أو يغار منهم فيمكر بهم ونحو ذلك . والأغراض الشخصية تفضي بصاحبها إلى أشنع من هذا . فلهذا وذاك لم يكن الشيخ رضي الله عنه محتفلا بعد رسوخ قدمه في الولاية في الخوض في خواص الأذكار ، ولا أقبل على من يطلب منه الإذن فيها ومنع بعض أصحابه الذين كان أذنهم في تلاوة الفاتحة بنية الإسم الأعظم ومن تلاوة حزب البحر الذي هو من أحزاب الإمام الشاذلي رضي الله عنه لما رآهم يذكرون ذلك وأنفسهم تتشوف للحصول على أغراضهم ، فخاف عليهم أن يقصدوا بذكر ماذكر لذلك فأمرهم بترك ذكره . ولم يأذن في ذلك إلا لمن حصلت له الثقة فيه بعدم تشوفهم لقضاء المطالب . وقد ادعى هنا كثير من المقدمين أن الإذن حاصل لهم في الإذن بذكره ممن طلبه منهم ، وهم في ذلك متقولون على الشيخ رضى الله عنه مالم يقله ، وتعلقت بهم نفوس من يتشوف للتحصيل على التصرف به ، فوقع جلهم فيما قلناه ، وعظمت الرزية في حقهم . فلهذا لا ينبغي للمريدين الصادقين أن يصدقوا الإذن في التصرف بمثل حزب البحر أو يصدقه فيما ينسبه للشيخ رضي الله عنه من الإذن في ذلك للأغراض .

وقد تعرضنا في كتابنا نيل الأماني ، لما يتعلق بذكر هذا الحزب وشروطه المنوطة به ، ومحل الوقفات فيه التي يتعين الوقوف عندها عند تلاوته ، وغير ذلك مما نقل عن سيدنا رضى الله عنه من الأذكار العمومية والخصوصية ، وما روى من ذلك عنه وما كان يعتمده من الكتب التي ألفت في الخواص والأذكار وغيرها ، فليراجع من أراد ذلك هنالك ، وإن كان لايخلو ذلك التوليف من المتقول عليه في شيء منها ، لكون ما ذكرناه نقلناه على ما بلغنا فيه جمعا لمن نسب إليه على وجه الإفادة والاستفادة . فليحذر مطالع ذلك من سوء الظن بالشيخ رضي الله عنه ، ولا يلتفت للتقولات المزرية بأهل الله . وليتنسب ما يتعين إنكاره لناقـــله عنهم لا إليهم ، فقد وقع الغلط في مثل ذلك فصدر البغض لهم من البعض . والله يعلم حقيقة ما هنالك وبالله التوفيق .

الكلام على الحزب السيفي وما يتقولون على الشيخ فيه

لقد ورد عن الشيخ رضي الله عنه أنه كان يذكر الحزب السيفي ، ويذكر بعض فضائله المنوطة به ، وما يعترى ذاكره من الأحوال ، وما ينبغي لذاكره أن يتصف به من التجرد عن الأغراض ، والإقبال به على الحق في التضرع والتعلق بين يديه سبحانه . ولقد كثرت التقولات في ذكره خواص وتصرفات به ، مع خواص ذكر حزب المغني معه ، لنيل بعض الأغراض . أما قراءته معه فمن المتعين لتخفيف وطأة التجلي بالفقر عن ذاكره . فإن ذاكره ممتحن بالفقر لتحققه بنيل المحبة الخصوصية . فإن الابتلاء بالفقر علامة على الصدق والإخلاص في ذكره ، فإن الله إذا أحب عبدا حماه من الدنيا . والأفضل لمن لا يقدر على تحمل الفقر ، أن يشتغل بدلا عنه بصلاة الفاتح لما أغلق ، أو بسورة القدر إحدى وأربعين مرة .

وهذا الحزب على صيغتين كبير وصغير . وكلاهما من أذكار الشيخ رضي الله عنه ولم يذكر في جواهر المعاني وغيرها إلا الكبير . وقد ذكر الصيغتين معا صاحب جواهر الخمس . وتكلمنا عليهما معا في نيل الأماني بما فيه كفاية .

وقد تكلم المنكرون في هذا الحزب وأنكروا صحته ، وتقولوا على الشيخ رضي الله عنه فيه مقالات لا أصل لها فلا ينبغي للمريد الالتفات إليها . والأولى له أن يترك ذكره وليشتغل بما ذكرناه إن قبل النصيحة فإن قلت : فما تقول في قول الشيخ رضي الله عنه صلاة الفاتح والحزب السيفي يغنيان عن جميع الأذكار ؟ قلنا حيث كانت النفوس غير ملطخة بالأغراض ولا تذكر الأذكار لطلب من المطالب . وإما حيث صار الذاكر من مثل :

صلى وصام لأمر كان يطلبه ‏ ‏ ‏ لما قضي الأمر ما صلى ولا صاما

فاجتناب ما في ذكره جلال ، هو اللائق بالمريد حتى يكون من الرجال . وعلى ذلك يذكر السيفي ، ولذلك لا يليق إلا لمن فيه أهلية لذكره . ويتعين على المقدمين النصح لذاكره ولمن يريد ذكره من العامة وبالله التوفيق

الكلام على نشر الإزار في الوظيفة وما تقوله المتقولون في ذلك .

الأصل في نشر الإزار في قراءة الوظيفة هو ما كان يفعل بحضرة الشيخ رضي الله عنه عند قراءتها بباب داره التي كان يسكن بها بحومة زقاق الرواح المسماة بدار المراية . ولقد زرناها وتبركنا بالمحل الذي كان يتعبد فيه الشيخ رضي الله عنه ، بالمحل الذي اجتمع فيه بالنبي صلى الله عليه وسلم مراراً يقظة في خلوته بها ، والسجادة التي كان يجلس عليها لذكر الخاص به . وإنما كان ينشر الإزار زيادة في تحقق نظافة في محل المرور الذي كان الإخوان يجتمعون به لقراءتها . وكذلك كانوا يفعلون في قراءة الزاوية حال بنائها في المحل الذي يجلسون فيه لقراءتها . وقد استحسن الشيخ رضي الله عنه قيد حياته ، واستحسن ذلك أصحابه في مواظبتهم عليه بعد عام بناء الزاوية فبقي العمل جاريا على ذلك في زاوية فاس وغيرها من سائر زوايا الشيخ قدس سره حتى لقد صار الإخوان إذا أرادوا قراءتها نشروا الإزار زيادة في تحقق الطهارة في البقعة التي تقرأ فيها ، وفاء بالشرط المنوط بالطهارة التامة لنيل فضيلتها .

ولقد كثرت التقولات في نشر هذا الإزار . فمن قائل لزيادة الاستحضار في كون سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يحضر . وقد رسخ هذا القصد في مخيلة جل الإخوان . ولقد شوهد صلى الله عليه وسلم مراراً بناحية الضريح الذي به الشيخ رضي الله عنه بزاوية فاس عند نشر ذلك الإزار . وحدثني من شاهد ذلك وهو عندي ثقة فيما أخبرني به . وكنت أتخيل وأنا صغير عند نشر الإزار عارتفاع الإزار بمرور النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم أره صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة ، ولكن يحصل لي قشعريرة وحضور كبير مع شيء يعتريني في بعض الحالات أغيب عن حسي بسببه .

ومنهم من يقول إن هذا الإزار إنما وضع ليجلس عليه النبي صلى الله علي وسلم مع الخلفاء أو يمرون عليه ، وهذا من التقولات التي لا أصل لها ، وإنما أشاع ذلك من له أغراض وسوء قصد ليقع انتقاد ذلك على الطريقة مع أنه لا دخل لذلك في

الطريقة ومنهم من تقول غير ذلك ولا معنى لطعن الطاعنين في ذلك بما لا أصل له والله الموفق (١).

الكلام على ما تقوله المتقولون من كون الانتفاع للمريد لا يكون إلا على يد الشيخ الحي، وأما الميت فقد انقضى عمله ولم يبق له ولا به انتفاع

جميع الطرق المعتبرة بجميع من سلك عليها قيد حياة شيخهم فيها وبعد وفاته، لا اشترط أن يكون الشيخ حيا فيها إذا ترك نوابا عنه، ولاشك أن المقدمين فى الطرق نواب من شيوخهم. ولهذا لازلنا نسمع بأن الطريقة الفلانية طريقة شاذلية، والمتمسك بها الآن شاذلى، والطريقة الفلانية ناصرية، والمتقيد بحبلها الآن ناصرى، والطريقة الفلانية وزانية، والمحافظ على عهدها الآن وزانى، ولا زالت الطرق الكبار التى انتقل الشيخ المنسوبة إليه لدار البقاء وأهلها ينسبون لشيخهم المتقدم، كالطريقة الوفائية والنقشبندية والرفاعية والرحمانية والخلوتية، وغيرها من سائر الطرق التى لا زالت متداولة بين أهلها. إلا أن منهم من تظاهر بالمشيخة بعد شيخها، ومنهم

---

(١) اشتراط المكان الطاهر الذى يسع ستة أشخاص عند قراءة جوهرة الكمال فى الوظيفة ذكر سيدى العربى بن السائح فى البغية أن ذلك لا لأجل حضور النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء. قال فى البغية: وغير خاف أنه شرط أدبى فى بساط خاص بالتقدير فيما يسع ستة من الناس لذات البقعة التى تطلب طهارتها لا لأجل من يحضر بها والقصد من هذا القدر فى البقعة التباعد عن محل النجاسة أعنى تباعد أنفاس الذاكر عن النجاسة. اهـ

ولا شك أن العلماء اتفقوا أنه يطلب طهارة الذاكر وأماكن الذكر وأنه كلما كان المحل أوسع وأكمل طهارة كان النور أعظم. ولا حرج على الذاكر أن يتحرى فى ذكر مفضول مالا يتحرى فى ذكر أفضل لأن الأمر اختيارى شرعا. ونشر الثوب أكمل فى الطهارة ويصح أن تقرأ الجوهرة بلا نشر ثوب بغير خلاف بين أهل الطريق.

من خجل أمام شيخه بالتظاهر بالمشيخة ، وبعضهم لم يتجاوز التقديم الذى بيده ، وهو مقدم بإذن شيخه أو بواسطة فأكثر ، وهو فى الحقيقة شيخ لكل من أخذ عنه سراً من الأسرار أو تلقى منه ذكراً من الأذكار ، ونحو ذلك من كل مايكون به عاية يد معنوية من علم أو إرشاد . كما اعتبر ذلك العارف بالله المتبولى إذ يقول :

وكل من أخذت عنه علما　　　أو أدبا فهو إمامي حتما

فالشيوخ رضي الله عنهم وإن انتقلوا للآخرة ، فقد تركوا بعدهم من قام مقامهم فى الدلالة على الحق وإرشاد الخلق بما أمكنهم وبما تلقوه عنهم . فكل من أقامه الشيخ مقامه فهو مثله . ولذلك يتعين تعظيم المقدمين واحترامهم مثل احترام الشيخ ، لأنه شيخ في الحقيقة ، لأنه هو الذى تلقي منه المريد ماصار به متصل الحبل مع الشيخ الذى تنسب الطريق إليه . وقال الشيخ الأكبر فى نصح مخاطبيه :

ماحرمة الشيخ إلا حرمة الله　　　فقم بها أبدا لله بالله

فالمقدمون فى كل طريقة يحترمون احترام الشيخ فيها . ويتأكد احترامهم على من أخذ عنهم ، بل ولو عليهم جدد عهد الطريقة وكل من أساء الأدب على واحد منهم فكأنه أساء الأدب على ذلك الشيخ . وكل من أساء الأدب مع أحد من الشيوخ الدالين على الله ، المأذون لهم فى الإرشاد ، فكأنما أساء الأدب على سيد الوجود . ومن أساء الأدب على سيد الوجود فكأنما أساء الأدب مع الله . وإساءة الأدب تعد من إذايتهم ومعاداتهم . ومن عادى وليا قام مقامه الحق فى المدافعة عنه والانتصار له . يقول الله تعالى فى الحديث القدسي : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب (١)

فإذا تقرر لديك هذا ، تحققت بأن الطريقة التجانية مثل الطرق الكبار فى وجود ملقنيها لمريديها . ومريدوها اتصلت رابطتهم بالشيخ رضى الله عنه من غير ارتياب بداخل الصادق فى ذلك . فالانتفاع بحمد الله حاصل للمريدين فى الطريقة بالشيخ رضي

---

(١) وقال تعالى (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) .

الله عنه بواسطة مقدميه لهم . إلا أنهم لم يتظاهروا بالمشيخة لكون الطريقة محمدية، فالشيخ الحقيقي فيها هو سيد الوجود صلى الله عليه وسلم . والشيخ بمثابة المقدم عند من حقق بمقام الشيخ رضي الله عنه وفهم معنى القضية . ولا عبرة بالمتقولين على الشيخ رضي الله عنه وعلى أهل طريقته ما يشوش فكر ضعفاء المريدين . ولقد حققت هذه المسألة فى توليف سميته : بطرب الحي بكون الأخذ عن الميت أفضل من الآخذ عن الحي ، مما فيه كفاية وفيما ذكرناه تبصرة للمريد والله الموفق . (١)

---

(١) الصلة بين التلميذ وشيخه صلة روحية . ولا يكون شيخا إلا من تخطى بروحه الحدود المادية حتى غلبت روحانيته على بشريته . وحقيقة التربية إنما هى صلة روح بروح . فاذا كان الشيخ يربى أصحابه بروحه باذن الله عز وجل من باب الأسباب التى سنها الله عز وجل فى التربية والترقى ، كما هو معروف عند أهله ، والحجة فى كل علم أصحابه لا من كان أجنبيا عنه . فالتربية الروحية لا يشترط فيها الجوار المادى ولا الاتحاد الكونى .

وحديثه صلى الله عليه وسلم « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » لا صلة له بهذا الموضوع . فان انقطاع عمله المراد به انقطع ثوابه على عمله الذى كان يعمله فى الدنيا إلا هذه الثلاثة . وقد اتفق العلماء على أن المراد به انقطاع ثوب العمل . أما صلة الروح بالروح فهذا شيء آخر . وقال الشيخ ابن القيم فى كتابه الروح صفحة ٢٣ : عن ابن عباس رضى الله عنه فى تفسير قوله تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) قال إن أرواح الأحياء والأموات تلتقى فى المنام فيتساءلون بينهم فيمسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها .

وقال ابن القيم مسألة تلاقى أرواح الاموات وأرواح الأحياء أدلتها أكثر من أن يحصيها إلا الله تعالى .

وقد خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل البقيع خطاب الأحياء . وقال صلى الله عليه وسلم فى قتلى الكفار ببدر : والله ما أنتم بأسمع لما أقول =

الكلام على منع الزيارة للأولياء فى الطريقة التجانية وما يتقوله المتقولون فى ذلك

لقد قامت قيامة المنكرين على الزائرين للأولياء وزيارات القبور. ولما منع التجاني أصحابه من زيارة الأولياء قامت القيامة بالإنكار عليه ولم ينصف المنكرون فى

= منهم . وثبت أن الميت المسلم يرد سلام المسلم عليه .

ويقول بعض المتعصبين لفكرة أن التربية محصورة فى المشايخ الأحياء (الثدى الميتة لا ترضع) وهذا وهم وذهول منهم . فان الشيخ المربى لا يربى بجسده ، وإنما يربى بروحه ، وروحه تنتقل من حياة الدنيا إلى حياة أخروية هى أعلى وأكمل منها ، وإنما المهم أن يصل بروحه فى حياته إلى مقام التربية الروحية . فما دام كذلك فهى ثدى حية ترضع .

ولهذا القول نصيب من الحقيقة ، هى أنه إذا كان شيخا يربى بظاهره وقوله فهذا الذى إذا مات انقطعت تربيته حقا . أما من علا عن الماديات فلن يزال حيا عند الله فى الدار الآخرة لأنه صديق . والصديق أعلى مرتبة من الشهيد . وقد قال تعالى . (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) فالصديق أعلى حياة من الشهيد .

على أن ذلك القول الذى توهموه يؤدى إلى سوء الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فان صلته الروحية صلى الله عليه وسلم لن تزال قوية ثابتة بأمته صلى الله عليه وسلم . وحسبك قوله صلى الله عليه وسلم «من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل بى» فهو دائم الرعاية لأمته باذن الله سبحانه ، ومن أمته من يصل إلى كثرة الصلة به صلى الله عليه وسلم فى نومه وفى يقظته .

ولقد ذكر الحافظ بن أبى جمرة من صلته برسول الله صلى الله عليه وسلم ما يشرح صدر أولى النهى المحققين . ودعك من أوهام الواهمين الذين ينفون الحقائق بغير دليل ولا بينة ولا مشاهدة لهم فقد قاسوا غيرهم على أنفسهم ولم يكن لهم قدم فى هذا المجال النورانى .

=

مما ناموا به من الانتقاد عليه، وتقولوا ما شاءوا في هذا المقام وكذلك بعض الإخوان قد تقولوا في ذلك على الشيخ ما يكاد أن يعد من الافتئات به على الطريقة. وإنما المنع فيها صدر للشيخ رضي الله عنه من النبي صلى الله عليه وسلم ليشترطه على الداخلين لطريقه وقد بسطنا القول في هذه المسألة وبما كتبناه وجلبناه من كلام العارفين في كتابنا المسمى «بالكوكب الوهاج» وبسط القول فيه صاحب البغية لدي قول المنية :

وكل من أخذ عن شيخ وزار ... سواه لم ينتفع به ولا المزار

ولا ينبغي الالتفات إلى ما يتقوله المتقولون هنا مما يحصل به التشويش على من لا يعرف معنى الطريق بعد الدخول فيها ولا قبل التقيد بحبلها . فكثير ممن يرى منع الشيخ من الزيارة للمريد هو المانع من الانخراط في سلك السالكين فيها ، والمانع الحقيقي هو الصارف الإلهي الذي يصرف من لم يكن محسوبا في زمرة أهلها ، فلذلك لا ينبغي للمريد أن يطلب من الناس الدخول فيها ، لأن سائق السعادة هو الحادي لمن تقاها . ولا يسوق بحبله غير أهلها . وربما أدى عدم إجابة الطالب للدخول فيها إلى التشاجر والتباغض وذلك مقصود الشيطان في مثل التحريض على ذلك من لم يكن مأمورا به كالناهي عن المنكر وهو لم يكن من أهل المعروف المأمورين به

وهنا قد حل الرابطة بعض المتساهلين من المقدمين في تركه لاشتراط ترك الزيارة وتقولوا في ذلك ما زادوا في طنبور النكير نغمة من أهل الطريقة وغيرها ، مع أن إباحة الزيارة منهم أمر لا عمل عليه عند السالكين على قدم الجد في الطريق القويم حسبما هو مقرر في محله فلا ينبغي للمريد الاعتناء في هذه الطريقة بمن يتساهل في ذلك والله الموفق . (١)

= وقد ذكر المحققون أن هنالك تربية تسمى «التربية الأويسية» تفرق روح روحا والجسدان لم يلتقيا . وسواء في ذلك اتحدت حيثهما أو كانت إحداهما في الدنيا والأخرى في البرزخ . فهذا الذي يقول إن التربية قاصرة على هذه الحياة الدنيا هو في واد جسماني في عزلة عن معارف الروح ومقاماتها .

(١) الأشياخ الذين رأوا اقتصار السالك على زيارة أطباء روحه لم يجعلوا الزيارة على سبيل التحريم ، ولكن كما يقتصر من يتداوى على طبيب واحد .

الكلام على الاستخارة المحدثة في الطريقة وما وقع من التقول على الشيخ رضى الله عنه .

لقد شاعت بين الاخوان كيفيات في الاستخارة ، فبعضهم يقول هذه مروية عن سيدنا رضى الله عنه وكيفية أخرى مروية عن المقدم سيدي فلان وكلها منقولة في الطريقة خارجة عن الوارد في السنة ، وتتشوف النفوس المولعة بالمستغرب للعمل بها فلم يستفد العامل بها غير العمل بالبدعة ، وكفاه الاعرض عن الوارد والاقبال منه على ما لا يجديه نفعا ، بل جنوا على أنفسهم بنسبة ذلك للشيخ رضى الله عنه وخاصة أصحابه ، ما يجد المنكرون به توصلا الإنكار على الطريقة الأحمدية بما ليس منها في شيء .

ولنذكر هنا كيفية من تلك الكيفيات حتى لا يعمل بها المريد الصادق ولا يشتغل عما لم يرد عن الشارع عليه أفضل الصلوات وأزكى التحيات

قال المنقول في هذا الباب : (١) تقف مستقبلا للقبلة وتقرأ فاتحة الكتاب مرة ثم تقول : ياملائكة الرحمن ، إن كان لي في هذا الأمر مصلحة وسداد في عاقبة أمري وعاجله وآجله فالتفتوا لي لناحية الجيرة وإن لم يكن لي فيه مصلحة وسداد في عاقبة أمري وعاجله وآجله فالتفتوا لي لناحية الشمال . وتصلى ركعتين بالفاتحـــة فقط في كلتيهما وتقول في السجدة الثانية من الركعة الأولى : اللهم إن العلم عندك وهو محجوب عني ولا أعلم أمرا أختاره لنفسي ، فكن أنت المختار لي ، فقد فوضت لك أمري ورجوتك لفاقتي وضري ، فأرشدني إلى أحب الأمور إليـــك وأرضاها عندك وأحمدها عاقبة إنك تحكم ما تشاء وتفعل ما تريد . مرة واحدة . وبعد قراءة الفاتحة من الركعة الثانية تكرر قوله تعالى : وربك يخلق ما يشاء ويختار حتى تلتفت إلى إحدى الجهتين وتختم الركعتين . وتفعل الأمر الموافق للالتفات الحاصل لك قبل الركوع في الركعة الثانية

---

(١) وهذه الكيفية معروفة قبل الشيخ رضى الله عنه وإنما سرت إلى أهل الطريقة من غيرهم .

بهذه الكيفية من الأمور المنقولة فى الطريق والعمل إنما هو على الوارد في السنة في الاستخارة للآمر بها ، وتحت سر ألفاظها وكيفيتها ما لا يعرف إلا من اطلع على السر المنوط بألفاظ الرسول عليه الصلاة والسلام .

الكلام على ما نسبوه للشيخ رضي الله عنه
من معرفته لعلم الكيمياء وتعاطيه لها .

أنا لا أصدق بالكيمياء وعلم الإكسير على وجه التدبير فى صبغ حديد أو نحاس أو رصاص وقزدير ونحو ذلك مما يتحول عن صبغته الأصلية إلى صبغة الذهب والفضة وقلب الأعيان في ذلك . اللهم إلا إذا كان ذلك على سبيل خرق العادة . أو حصول الصبغ الثابت المضاهي للمعدن الأصلي فذلك موجود . ووقفنا على عمل ذلك أيام السلطان المقدس مولانا الحسن رحمه الله . على أن خاصية الذهب الحقيقي والفضة الحقيقية لم يكن فى المستعمل المصنوع أبدا (١) إلا على الوجه المذكور . وقد

---

(١) سألت سيدى أحمد سكيرج قدس الله سره عن علم الكيميا المعروفة بصناعة الذهب والفضة من عناصر أخرى . فقال إن الذى يصنعه ممن يشتغلون بهذا الفن يعتبر حراما وغشا للمسلمين . فإنه يمكن لبعضهم أن يصنع معدنا يشبه الذهب ولكنه ليس بذهب حقيقى . فإذا رآه من لا يعرف ظنه ذهبا مع أنه ليس بذهب . وربما اشتراه بعض الصاغة الذين لا تتوفر لديهم الوسائل التى يميزون بها الذهب الطبيعى من شبيه الذهب المصنوع فيشتريه من صاحبه على أنه ذهب طبيعى وحقيقة أنه ليس بذهب طبيعى فهو غش وخديعة وإذا ذهب بهذا الذهب الصناعى للتحليل فى المعامل الخاصة بذلك التى لديها الوسائل الدقيقة لتمييز الذهب الطبيعى عن غيره فإنها تفرق بينهما . فالذى يصنعه ويبيعه على أنه ذهب آثم وغاش للمسلمين . اهـ

والدليل القاطع على صحة قول سيدى أحمد سكيرج قدس الله سره العزيز أنى سألت بعض المشتغلين بهذا الفن . وأخبرته بما قال سيدى أحمد سكيرج فقال لى إنه من الممكن أن نعمل الذهب بحيث لا يفرق بينه وبين الذهب الطبيعى بأى وجه =

تكلمت على هذا الفن فى كتابنا نيل الأمانى بما كشف عن وجه الحقيقة فيه ، حتى لايغتر أحد من الإخوان بتصديق من يتعاطاه من إفادة الطلبة أصحاب الحيل ، فى هذه الطريقة وغيرها ، وهم كثيرون قبل هذا الإبان ، وقد قل متعاطيه الآن .

والغالب فى أهل هذا الفن أنه لايخوض فيه إلا أهل الغش والتدليس ، المضروب على يدهم بالشرع والمخزن مع مايؤدى بهم من الفلس والتفاليس .

أما الأمر الخارق للعادة ، فذاك شيء آخر لا كلام لنا فيه فى هذا الباب ، وهو لايكون إلا عن ضرورة أو إظهار كرامة ، ولايكون حرفة أبدا لمؤمن .

وإذا تقرر هذا ، علمت أن من نسب تعاطى هذا الفن للشيخ رضى الله عنه على قسمين :

إما مريد جاهل نسب ذلك له على وجه الكرامة ، وأنه كان يعرف هذا الفن ويتعاطاه ، وأما تعاطيه هو من المتقول عليه ، وأما معرفته فهو من العلوم التى يعرفها أربابها ، ولا يبعد معرفة الشيخ لها . ونحن نتحقق بمعرفته لذلك على الوجه الأكمل مع حصول الكرامة له بما هو أعلى من هذا الأمر الذي تتطرق إليه الألسنة فيه .

وإما أن يكون الذي نسب ذلك للشيخ رضى الله عنه ، ممن يشنع عليه ما ولع المنتقدون بانتقاده ، ومقصوده بذلك إكثار الانكار عليه بذلك . مع أن

= من أوجه . فقلت له إذا كان الأمر كذلك فإذا أخذتم ذهبا طبيعيا وأضفتموه إلى بعض المعادن حتى يصير ذهبا كله ولا يفرق بينه وبين الذهب فهذا الذهب الجديد يمكنكم أن تضيفوه إلى معادن أخرى فيصير ذهبا كله بالوسائل التى تعرفونها ثم ذلك الذهب الناتج تضيفونه إلى معادن أخرى وهكذا فلا تحتاجون إلى ذهب طبيعى فى كل مرة أو فى بعض المرات إذا كان هذا يقوم مقام الذهب الطبيعى ؟ فأخبرنى أن ذلك غير ممكن ولا بد من إضافة الذهب الطبيعى فقلت له إذن هناك فرق بين الذهب الطبيعى وشبيه الذهب الذى تصنعونه . وهذا حرام . فاقتنع بذلك .

وعلى كل حال نسبة هذا للشيخ رضى الله عنه غير صحيحة .

الشيخ رضي الله عنه منزه الساحة عن تعاطي هذا العلم ، المعبر عنه في لسان العامة بعلم النار . ولقد أحسنوا في هذه التسمية ، فإن مآل متعاطيه النار ، وإن لم يقصدوا بتسميته بذلك هذا المعنى .

ولا تسأل عما تقوله المتقولون مما نسبوه للشيخ في هذا الباب، والله حسيب من قصد السوء بذلك في هذا الجناب . ولسان حال الشيخ رضي الله عنه ينشد هنا :

علوم الكيمياء لدى أجلى ... من الشمس المنيرة للبصير
إذا ما شئت تصعيدا فصعد ... إلى مولاك أنفاس الزفير
وقطر أدمعا في الليـــل حتى ... تكون لك السعادة في الأمور
وقل ياجابرا للكسر فاجبر ... بفضلك سيدي كسر الكبير

وبالله التوفيق .

الكلام على اسم اللطيف وما تقول على الشيخ فيه .

لاشك عندنا في كون اسم اللطيف من أذكار الشيخ رضي الله عنه في ألف مع الفاتح لما أغلق . وعدده الكبير والصغير وعدده في المراتب الأربع المعروف بلطيف ابن حجر وفي سر عدده الروحي بالألوف ، وهو مائة ألف وتسع وعشرون ألفا ، فبهذه الأعداد كان يذكرها الشيخ رضي الله عنه بحسب كل ما سنح له ، غير ملتزم لعدد بالخصـــوص ولا يذكره في كل يوم طبق ما تحقق ذلك بتتبع أحوال ذكره فيما عرفناه بلقيه ممن نلقاه عمن لازمه وعرفه . ثم تقول عليه رضي الله عنه في زجر ذكره دعوات ممزوجة بآيات يزعم من يدعى أنها رويت عنه في صيغ مختلفة للتعجيل في إجابته هي من الأمور التي لا يعرفها إلا الخاصة ، مع أنها ليست من طريقنا في شيء ، ولا من أذكار الشيخ رضي الله عنه . وإنما المروى عنه ما هو مذكور في جواهر المعاني ليعمل المريد عليه باطمئنان نفس من غير تشوف لزجر ولا لغيره .

وقد كان سيدنا رضي الله عنه ينوه بذكر اسم اللطيف لدفع الصدمات الجلالية وتنفيس الكربات الحالية والاتصالية . ويذكره في عدد من الأعداد تحلى عن الذاكر ما يهمه من ذلك ، ويتجلى المتوقع من ذلك في مظهر اللطف الخفي عما أودع الله في

ذكره في عدده السري من خواص ، بين العوام والخواص ، مما شوهد نفعه . وقد كان رضي الله عنه يؤكد صحة قول من قال : أبواب التصرف بالأسماء والتوجه بها في قضاء المطالب قد انسدت أبوابها ولم يبق إلا باب اسم اللطيف ويبقى باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

ولقد تعرضت لذكر شيء من الأزجار المنوطة بهذا الاسم الشريف في كتابنا نيل الأماني، وللأوفاق المنوطة به ، مما نسب للشيخ رضي الله عنه وما قيل أنه مروي عنه . ولعل ذلك كان في ابتداء أمره أو هو متقول عليه ، فنقلناه على ما هو عليه ، وهو في عهدة من نسبه إليه . والأولى من هذا كله الاشتغال بذكر صلاة الفاتح لما أغلق فهي مفتاح كل خير ، ووقاية من كل شر وضير ، مع راحة واطمئنان . والسر الأكبر المنوط بالأذكار والتحصيل على ماتحت ذلك من الأسرار بإلهام لذاكرها بما يوفق إليه من الدخول بحضرة مظاهرها .

وهنا أقف قليلا ، حيث طرأ علي وارد في إفادة الواقف هنا موقف استفادة بحسن اعتقاد . وترددت في ذلك ، ولكن قوى العزم بأن نقول إن سر كل ذكر في التحصيل على خاصيته هو التخلق بمعناه . وذلك بأن يتخلق ذاكر اسم اللطيف ، بالتحقق بأن الله لطيف ، وكل ما برز موجود حتى في نفس الجلال الذي تجلى به على الذاكر هو من فضله سبحانه ، الذي هو عين اللطيف البارز من حضرة اللطيف لحكمة وهو نفس الحكمة، وهنا تطمئن نفس الذاكر فيحصل على المراد، في أول عدد من الأعداد الذي يشرع في سردها ، وهكذا حتى يستعجل هذا الحضور وليتمكن من نفسه فيتم المراد على وفق ما أراد

والمقصود من الترجمة التنبيه على اجتناب مالم يصح عن الشيخ من الأزجار المتقولة عليه، التي ولع المدعون المزية بالتحصيل عليها وعلى مثلها لاستجلاب ما في يد الطالبين والله يوفقنا لصالح القول والعمل به آمين .

الكلام على النيات في ذكر الفاتحة بنية الاسم الأعظم والفاتح لما أغلق وغيرهما من الأذكار .

لقد شاع وذاع بين الإخوان ذكر مقدمة قبل الذكر الذي أرادوا ذكره بنية

خصوصية ، وتعرف تلك المقدمة بالنية. كقولهم مثلا : اللهم إني نويت بذكر كذا
كذا بعبارات مختلفة وتراكيب متنوعة مما أحدثه المدعون لخصوصية في الطريقة
أو وقفوا عليه في أوراق متلفقه وينسبون ذلك للشيخ رضي الله عنه ولبعض خواص
أصحابه وهي متقولة عليه في غالب ذلك . ولقد ذكرت شيئا من ذلك طبق ما تلقي
ورويت من شيخنا العارف العبدلاوي رضي الله عنه ما ذكرته في هذا الموضوع
والذي أنصح به الإخوان أن يكونوا على بال ممن ينسج على منوال ذلك، ممن يحب
التظاهر في الطريقة بحصوله على ما لم يحصل عليه غيره من الأسرار الرفيعة المقدار
وعلامتهم التنويه بما يريدون التظاهر به مما هو في عهدتهم ، وذكر خصائص ومزايا
لما هو من هذا القبيل بين عامة الإخوان . فيكون ذلك زيادة في الطريقة مما يستحلي
المريد ذكره أكثر مما هو مطلوب به في أدائه على الوجه الأتم، وذلك من شيمة
المتساهلين في أمورهم حتي ، ينقطع الواحد منهم من غير شعوره بما يؤديه ذلك إليه
والله أعلم بالمقاصد وهو الهادي لسواء السبيل

الكلام علي المقاصد التي تذكر مع الورد اللازم وما يقال فيها .

لم يكن الشيخ عاملا بالمقاصد عقب كل ركن من أركان الورد ، وهي التي نعرض لها
في البغية . وإنما زادها بعض المفتوح عليهم في الطريقة. وهي عندي وإن كانت ذكرا
جميلا . فهي من قبيل النيات المتقولة على الشيخ رضي الله عنه. والقصد منها تعليم المريد
لاستحضاره لمعنى الركن الذي يشرع فيه من استغفار وصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم وهيللة. فتكون نيته سالمة مما يشينها حالة الذكر وتكون تلك في المبدأ مرجوة
الاستحضار إلى التمام. وهو شيء محمود . وأما المذموم هو تقولها على الشيخ رضي الله
عنه . ولا يضر تخلل الذكر بها لكون الأركان محصورة في العد فكان كل ركن
مستقل بنفسه فيما يظهر. ولولا عمل أفاضل الإخوان بهذه المقاصد منذ زمان لقلت إن
زيادتها في الورد وتخللها به مما يبطله لأن الزيادة في الشيء نقصان . والله يقول الحق
وهو يهدي السبيل .

الكلام على الزيادة التي تزاد في صلاة الفاتح لما أغلق وأنها مذهبة لخاصيتها

قد ولع كثير من الإخوان بذكر زيادات في صلاة الفاتح لما أغلق بعد ختمها ،

وربما تحذفوها وزيادات يستحسنها من حق عنده كون الشيء وحده ليس هو مع غيره . فالزيادة فيها عند العارفين نقصان مذهب لخاصيتها . فإن خاصية الفاتح لما أغلق بانفرادها عن الزيادات ، هي التضاعف المستغرق لما لا يحصى من العدد ، لمن عنده الإذن الصحيح في ذكرها في الورد وغيره . فإذا زيد فيهـــا شيء ذهبت خاصيتها سواء كانت تلك الزيادات من خواص الإخوان أو من عامتهم . فقد عرض علينا جماعة منهم ممن أعرضنا عن ذكرهم هنا ، صيغا عجيبة التركيب ألحقوها بصلاة الفاتح لما أغلق . مثل — الصلاة المشهورة بينهم بالسرية وهي :

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ملء ما علم وعدد ما علم وزنة ما علم ، صلاة عظيمة القدر والمقدار أسألك اللهم بسرها وسر سرها وبسر من صليت عليه بها ، وسر من صلى بها من بروز سرها إلى دار القرار أن تصلي وتسلم على من شرفته بها وشرفتها به ، سر وجودها ومنبع فضلها وجودها سر السر الساري في كل سر ، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وأن تعوضني اللهم بها ما فاتني من عمل الليل والنهار ، وتقبل مني ما وفقتني له من الصلاة بها من الفرائض والنوافل والأوراد والأذكار ، وتمنحني من سر سرها ما منحت به أهل السر والأسرار ، الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار بمحض الفضل والجود ياحليم ياستار .

فهذه الصيغة ، يذكرون أن الشيخ رضي الله عنه كان يذكرها ويلقنها لخاصة أصحابه ، وهو شيء متقول عليه . فالأولى ذكر صلاة الفاتح لما أغلق مجردة عن مثل هذه الزيادات التي يقال في حقها : الزيادة في الشيء نقصان ، ولكن الناس ولعوا بالتشوف لكل مستغرب من الأذكار ، وما يستعجب من الأسرار . يعرضون عما لديهم عينه جارية ، ويتطلبون الوصول لعميق الآبار بالحبال الراشية . فكانت أفعال غالبهم ممن لا إذن له في الأذكار اللازمة وغير اللازمة في حيز البطالة .

ومن الصيغ التي اختلقوها على الشيخ رضي الله عنه هذا الزجر الذي قيل فيه إنه

من السر المصون به عن غير أهله ، وهو : اللهم بجاه الفاتح لما أغلق ، افتح لي من كل باب خير ما فتحته على سيدنا محمد رسول الله ، وبجاه الخاتم لما سبق ، اختم لي بخاتمة الناجين الراجين الذين قيـــل لهم : قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله . وبجاه ناصر الحق انصرني على جميع الأعداء نصر الذي قيل له أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله . وبجاه الهادي إلى صراطك المستقيم إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم من الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله . فهذا ونحوه مما لا أصل له وإنما هو من إنشاء المتساهلين في نسبة الأشياء لغير أهلها والله عليم بذات الصدور .

أما ما وقفنا عليه من الممزوج به صلاة الفاتح لما أغلق من غير مانسب للشيخ رضي الله عنه ، فهو كالشرح لألفاظها وترصيعها بيواقيت نفيسة عاليـــة غالية مما يستحسن مع مزجها أيضا بدعوات لطيفة ، فهو شيء كثير للمفتوح عليه السيد عبد الغني حجيج والشريف العلامة المولى أحمد بن المولى جعفر الكتاني . والجوهرة الكمال على هذا النسق لهما أيضا ولغيرها فلا نطيل بذكر ذلك هنا . ومع هذا وذاك فإن الخاصية ذهبت بالزيادة فليعتمد على هذا من يعرف قدر مانبهنا عليه والله الموفق

نظرة إجمالية في الكتب المؤلفة في الطريقة التجانية

وما قاله المتقولون عليها وما تقولوه فيها .

إن الكتب المؤلفة في الطريقة مثل المؤلفة في غيرها من الطرق وغير الطرق ، لا تخلوا من انتقـــادات ولكن الأمر الذي لا ينبغي في حق المنصفين هو توجيه الإنكار عليها بالخصوص فيما ذكر فيها ولم يوجهوا إلا إليها في بعض الأشياء التي تلقى بالقبول في طرق القوم الأخرى . وما مقصود المنكرين المنتقدين إلا تتبع المثالب شأن الحسدة الذين قيل فيهم : إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا .

وتجد كثيرا منهم ينسبون لهذه الكتب ماليس مذكورا فيها ، أو مذكور ولكن يحرفونه عن مواضعه ويصحفونه ليجولوا في مجال الطعن والإنكار على الشيخ رضي الله عنه ، وإن لم يكن صدر ذلك من الشيخ، فيجرون ذيل النكير عليه بذلك

و م - ١ احياء التصـ ء

والشيخ بريء مما هنالك . وإن كان ضرب المنتقدين عليه في ذلك معدودا منهم في حيز الضرب في الحديد البارد ، ولكن تطير منه قطع كالصاعقة فتصيب الضارب في قلبه ، ويسقط بها على وجهه ، في نار انتقاده التي أضرمها لتكون له الصولة بالباطل على طريق المجد المؤسس على تقوى من الله ورضوان .

وعلى قدر اتساع دائرة التأليف فيها ، ضاقت صدور المبغضين . فتقولوا ماشاؤه من تقولات . وإن كنا لاندري ، ماذكر في ضمن بعضها من السقطات . ولكن الأمر القبيح من المنكرين ، هو الانتقاد عما لا فائدة تحته ، سوى تشويه صورة الحق المحمود ، بإبدائها في صورة المذموم .

وقد أوردوا هنا على ما ألف في الطريقة انتقادات باردة ، يضحك من سماعها منهم عند روجان بضاعتهم الكاسدة ، بعض سفهائهم . مثل قولهم : إن بعض المؤلفين في هذه الطريقة ، جعلوا همزية في مدح الشيخ ، تضاهي همزية البوصيري رضي الله عنه التي جعلها في الحضرة المحمدية عليها الصلاة والسلام . قائلا إن تلك الهمزية التي مطلعها في مخاطبة الشيخ :

كيف تسمو سموك الأولياء   وانتهاء العـــلي لديك ابتداء

إلى تمامها ، فيها معارضة لهذه الهمزية التي يقول المادح فيها ، مخاطبا النبي صلى الله عليه وسلم :

كيف ترقى رقيك الأنبيـاء   ياسمـاء ما طاولتهـا سمـاء

فقد نزل فيها المادح هنا شيخه ، منزلة النبي صلى الله عليه وسلم

كما قال في تعضيد دعائم انتقاده ، إنهم جعلوا في الطريق مولدا أيضا للشيخ ، حكوا به الموالد المؤلفة في الحضرة المحمدية . وجعل هذا الأمر من المنكر الذي لا ينبغي السكوت عليه ، وما كان من حق المؤلفين تأليف مثل هذا . وهذا الانتقاد مما يدل على جهل المصرح به وطمس بصيرته ، لكونه من قبيل الهذيان ، ومنع مالم يرد منعه . ولعمري ماذا يترتب شرعا على تأليف مثل ذلك . أما نسبة تنقيص الرسول

عليه السلام بمثل هذه الهمزية التي ذكر أنه عورضت بها همزية البوصيري، وهذا الولد ونحوهما فمهدته عليه، والتنقيص إنما صدر منه، وإليه يرجع ذلك التنقيص بمقتضيه

وقال بعض المنتقدين أيضا : إن المؤلفين في هذه الطريقة جعلوا فيها متونا ومختصرات، على نحو المتون المؤلفة في فقه الدين، عقدوا فيها فقه الطريقة، بما يضاهي الحكم الشرعي من ذكر واجبات وممنوعات ومندوبات ومكروهات وغير ذلك مما هو غير مشروع على لسان الشارع صلوات الله عليه، وهذا من التعمق في الدين والخروج عن نهج المهتدين . قال وكذلك جمعوا أقوال شيخهم مرتبة على الحروف المعجمة، بما يضاهي كتب السنة المؤلفة في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ونحوا كلامهم لذلك جعلوا طريقتهم كأنه شرع مستقل مبني على ما اعتمدوه في سلوك الطريق . وأطال هذا المنتقد النفس في هذا الموضوع، في مجمع حضرناه وبينا له فاتفه برفق ولين، فأبى إلا أن يصر على ما سولت له نفسه تحسينه لقرنائه المنكرين.

ولعمري إن الانتقاد بمثل هذه الأمور، لمن شأن المشتغلين بما لا يعنيهم الذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم فصدهم عن سبيل الحق . وليت شعري ماذا يترتب على ترتيب كلام الشيخ رضي الله عنه على حروف المعجم وهي كالدر المنظم وكلام الشيوخ مما ينبغي الاعتناء بجمعه وحفظه والعمل بما تضمنه من الحكم . وقد ألف الناس من كلام العارفين تآليف مهمة بالخصوص ومنها ما هو متضمن طبا تما ينتفع به الخاصة والعامة . وماذا يلزم أيضا من قال يجب في الانتفاع بهذا الأمر كذا، ويمنع مريد ذلك من كذا، ونحو ذلك مما كتب الطب الروحاني والجثماني مملوءة به. ولا ينكر مثل هذا في هذا الفن مما أوجبه الشيوخ أو حرموه أو استحبوه إلا من كان ذا جدل سرك، أو متجاهلا لا يعرف معنى الأدب.

ولا يسأل عما يورده أمثاله ممن لا يعرف مقاصد أهل الله، ويحول مقاصدهم إلى ما اقتضاه هواه، من التقولات والتهكمات بذكر بعض مقالات الشيوخ، كقول الشيخ رضي الله عنه لبعض أصحابه : ارهن هذا البرنوس واشتر شيأ من الكرموس وقته حسن التأسي بالرسول في رهن درعه كما هو معروف . وفي إدخال السرور

على الضعفاء بإطعامهم بالقدر الذي رهن برنوسه ، مع ما يراه بعينيه من أن الشيخ رضي الله عنه لم يكن يعتمد على إنفاق الغير عليه ، بل هو الذي كان ينفق على الفقراء من أصحابه ، تأسيا بإنفاق الرسول صلى الله عليه وسلم على أهل الصفة من أصحابه . ونحو هذا مما هو من مكارم الأخلاق .

فكل انتقاد من هؤلاء المنكرين يدل على سوء تربيتهم وعدم معرفتهم بالدين . ولا ينبغي للمريد العالم ، فضلا عن الجاهل الذي لا يحسن القاء الحجج وإبطال مايورده أصحاب الحجج ومن فى حكمهم من الجهلة ، مذاكرتهم ولا محاورتهم فى ذلك ، فإن جمعية الإنكار لها عصبية كبرى فى هذا العصر ، الذي استطال فيه الأشرار على الأخيار . ولا فائدة ترجع على الشخص فى مثل هذه الانتقادات وردها عند ذوى الاستبصار . إلا شغل الأفكار . وقد كان الشيخ رضى الله عنه نهى فيد حياته ، بعض علماء الطريق من أصحابه ، عن الاشتغال برد ما أنكر به عليه بعض معاصريه لكون الحسد أعمى بصرهم ولم يقصدوا نصر الحق بانتقاداتهم واعتراضاتهم ، فالكلام معهم فيه تضييع للوقت بلا طائل .

ولقد ورد في المحل بعض أسماء بعض الكتب المؤلفة في هذه الطريقة مشيرين لمكانتها لما في ذلك من الفائدة لطالب الوقوف على عين الحقيقة ، مع بعض التآليف التى تعرضت للانتقاد على الشيخ رضي الله عنه ، قبل تصدره للمشيخة وبعدها ، فيد حياته وبعدها . فقد كثر ضجيج المنكرين لما شاهدوا استنارة أنواره في ازدياد ، وهم يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره . فنقول :

الكلام على كتاب جواهر المعانى وماقيل فيه من انتحاله من المقصد الأحمـــدي وتحقيق القول فيه .

قد طعن بعض الناس الذين يبحثون عن العورات ، فى كتاب جواهر المعاني ، الذى ألفه الخليفة المعظم السيد الحاج على حرازم برادة ، بأنه منتحل من كتاب المقصد الأحمدي ، تأليف العلامة أبى الطيب القادري ، الذى ألفه فى الولى الصالح

أبي العباس سيدي أحمد بن عبد الله معن . ولا نسأل عن الشـــرح الذي حصل للمبغضين في الجناب الأحمدي التجاني ، بهذا الانتقاد الذي عم الضجيج به بينهم واستطالوا به على الإخوان . ولا تخفى مكانة جواهر المعاني من هذه الطريقة الحمدية وماله من عظيم الشأن بين الإخوان قيد حياة الشيخ رضي الله عنه وبعدها . ولقد كان الشيخ رضي الله عنه أمر بحرق ما كان ألفه منه مؤلفه ، لأسباب لم يقف عليها أصحابه ، ولعل منها ترتيبه على ترتيب هذا المقصد الذي شنع في هذه الأزمنة الأخيرة المنكرون به عليه .

ولقد عثرت على ثلاث نسخ من هذا المقصد ، وقابلته مع جواهر المعاني ، فوجدت خطبته كخطبته ، وجل ترتيب أبوابه على ترتيبه . وأما ما يتعلق بالطريق ، أو بالمسائل العلمية الحديثية والفقهيـــة ، ومقالات الشيخ رضي الله عنه ، ومقاماته وكراماته ، فليس شيء منه فيه ، إلا ما كان مماثلا من الموافقات في المشربين ، في قضية من القضايا اتفقت للشيخين ، حتى كأن هذه عين هذه ، مما يقع منه لكثير من الناس ، فيذكره فيه باللفظ . وليس هذا بمستنكر في حق كل مؤلف رأى ما يناسبه في موضوع تأليفه فنقله . إلا أن عدم نسبته للمنقول منه هو الذي ظهر لي أنه هو الداعي للشيخ رضي الله عنه لحرقه أولا ، ثم رأى أنه لا بأس بذلك ، فأمره بالعود إلى جمعه ، كما نبه على ذلك في خطبته .

وإذا كان العلماء الكبار ينقلون الكتب من أصلها فتنسب لهم ، مع معرفة مؤلفها الأول ، فلا بأس بحمد الله في محاذاة جواهر المعاني بالمقصد الأحمد . ولقد ذكرت في شرحنا لجواهر المعاني المسمى بتيجان الغواني ، بعض الكتب التي نسبت لغير مؤلفها مثل المدونة ، التي هي أم كتب المذهب ، وأبى الله إلا أن يكون مثل ذلك في الجملة في كتاب جواهر المعاني ، الذي هو أم كتب الطريق ، وفي ذلك عبرة لمن اعتبر ، وفوائد تشكر كلما تذكر ، معاملة بنقيض قصد من أنكر . وإذا تقرر هذا تقرر لدى المنصفين ، أنه لا التفات لما تقوله المتقولون على هذا الكتاب الذي جاء على نسق المقصد الأحمد في الخطبة . وما تضمنه في الجملة من ترتيب الأبواب

فعلى ما فيه المعول ، ورغم أنف من قصر في الانتقاد أو طول . وهذا غاية ما طاوعه وتقولوه ، فلنضرب عن ذلك صفحا ، ولنطو عنه كشحا . وقد بسطنا القول فيه في الشرح المشار له .

وقد قامت قيامة من لم ينظر إلى هذا التأليف بعين الإنصاف ، أو كان من الجهلة المدعين لعلم الصحيح بين ذوى الاعتساف ، فاعترضوا على جمل منه من غير التفات نظراً لما هي مقيدة به ، حيث إن الكتاب يقيد بعضه بعضا ، والوقف على ما اعترضوه كالوقف منهم على ويل للمصلين ، زيادة على كون مؤلفه قد اعتذر بأنه خالي الوفاض من العلوم الآلية من نحو ونحوه ، وكان يعبر بعبارته عما يسمعه من الشيخ رضي الله عنه وعليه عليه ، والعبارة قد تضيق بأصحاب الحقائق ، عن الإفصاح ببيان تقبله عقول المنتقدين ، ممن لا سعة لهم في الإطلاع على المقاصد فيتسارعون بالتضليل والتكفير ، كما وقع منهم وهو لديهم أمر يسير ، ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم . وهنا مقالات متوطلة عما ورد عن الشيخ رضي الله عنه في حق هذا الكتاب مثل قوله حكاية عن رؤيا رأي النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال له : جواهر المعاني هو كتابي وأنا ألفته . ونحو ذلك مما بسطنا القول فيه في غير هذا المحل وربما نعود إلى زيادة بسط ، وبالله التوفيق .

ولمؤلف جواهر المعاني تآليف أخرى نذكر منها هنا :

الكلام على رسالة الفضل والامتنان من تأليف الخليفة المعظم سيدي الحاج علي حرازم برادة

هذه الرسالة، هي المعروفة بالرسالة الشافية أو الشامية بالفاء والميم وقد نوه بشأنها في جواهر المعاني ، وهي من ألطف الرسائل في نحو كراسة نقلتها باللفظ في تأليفنا رفع النقاب بعد كشف الحجاب . وقد اشتملت على ما يتعلق بالطريقة ، مع التعرض لبعض الفضل المنوط بها وما يتخرج منها من الشيوخ رجالا ونساء ، من الإنس والجن ، والفرق التي تخرج على يدهم منها ، مما يسر السامع . وقد يتطرق الشك إلى

من لا تحقق لديه بها ، ولو كان من أهل هذه الطريقة ، مما بسط القول فيه مؤلفها من ذلك ، فأحرى غيره ممن لا اعتقاد فيه ولا معنى لانتقاد ما يتلقاه المريد عن شيخه مما يطريقته مثل ما قرره فيها مؤلفها ، خصوصا من أهل الطريقة الواحدة فيما بينهم ، بالرجوع حينئذ في مثل ذلك إلى من عنده مزيد علم بالطريقة ، ليوقف إخوانه على عين الحقيقة . وذلك هنا كالقول بالزيارة للأولياء ، وتعدد الشيوخ في هذه الطريقة والمدار في هذا ونحوه مما تقرر عن الشيخ رضى الله عنه في طريقه بعد تأليف هذه الرسالة وجواهر المعاني وغيرهما مما ألف قيد حياته ووفاة مؤلفها قبله . وبالله التوفيق.

الكلام على الكناش المكتوم.

هذا اسم كتاب لا وجود له ، ولعله ـ وبعضهم يقول ـ إنه هو كناش الخليفة سيدي الحاج على حرازم برادة ، وهو كناش جله بخط يده ، اشتمل على أسرار تلقاها عن الشيخ رضى الله عنه ، نقلنا عنه بعضها في غير محل من تآليفنا في الطريق. وفيه تقاييد بخط بعض الجلة من أصحاب سيدنا رضي الله عنه ، مثل المقدم سيدى الحاج الطيب السفياني ، والسيد الحاج الكبير الحلو ، والسيد محمد المازري ، والسيد محمد المازوني ، وغيرهم . وعهدى به عند خدمته بفاس . غير أنني سألت عنه مرة من انحاز إليه ، فأخبرني بأن جل أوراقه تفرقت ، ثم استولى عليه بعض العلماء الجلة فأدخله خزانته . على أن هذا الكناش ربما يكون المراد به إما جواهر المعاني وإما جامع ابن المشري . ولذلك ينصرف إليهما إسم الكناشين في الإطلاق عند أصحاب الشيخ رضي الله عنه . ولقد وقع البحث عن هذا الكتاب في زاوية الشيخ رضى الله عنه فلم يقع العثور عليه .

أما خزانة الأوراق التي بها خط الشيخ رضي الله عنه ، والخليفة سيدي الحاج على ، والواسطة المعظم سيدى محمد بن العربي ، التي كانت بالزاوية المذكورة وأشرت إليها في كتابنا كشف الحجاب ، فقد خفي أمرها ولم يقع العثور عليها ، بعد ما كان وقف عليها شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضى الله عنه حين

فتحها بعد موت محمد سيدنا رضي الله عنه سيدنا محمد الحبيب مع بعض خاصة
أصحابه، كما حدثني بذلك رضي الله عنه . ووجدوا بخط مولانا الحبيب المذكور
وصية مكتوبة في ورقة موضوعة داخل الخزانة، يقول فيها : ليعلم الواقف عليه وأن
هذا هو الكناش المكتوم ، الذي كان بين الشيخ وبين النبي صلى الله عليه وسلم ،
وما فيه إلا خط والدنا والواسطة سيدي محمد بن العربي والخليفة سيدي علي ، وإياكم
أن تطلعوا عليه أو يطلع عليها الفقهاء ، فإنكم تهلكون وتهلكونهم . قال شيخنا
المذكور : لما قرأنا البطاقة خفنا على أنفسنا ، فأغلقنا الخزانة امتثالا للأمر .
وليست الخزانة بكبيرة لكنها ذات طبقات ثلاث مملوءة بكراريس بلا تسفير ثم إن
بعض الفقهاء، سمع بذلك فصار يطلق لسانه وصار يقول للإخوان لم تحمل الكتب
إلا للقراءة ، ثم أتى إلى الخزانة وفتحها وأخذ منها شيأ وقرأه ، فلم يمض عليه نحو
يومين حتى حمى وأصابته حمى مفرطة كانت سبب موته ولم يزد بعد فتح الخزانة على
عشرة أيام ، قال لي ، وهي إلى الآن لازالت مغلقة وقد سمعت من بعضهم أنها لا تفتح
إلا على يد المنتظر والله أعلم

ولا تسأل عما يقوله المتقولون هنا ، وما يزعمه الباحثون على المستغربات ، من
كونهم عثروا على شيء من تلك الأوراق وقد ادخروها خصوصا منهم من زار
زاوية قرية عين ماضي أو أتى من تلك النواحي ممن يدعي الخصوصية لنفسه ، والله
أعلم بحقيقة الأمر ، وقد لامني بعض الأحباب ممن زار القرية المذكورة على تعرضي
لذكر هذه الخزانة في كتابنا كشف الحجاب قائلا إنه قد وقع تشويش في الزاوية
المذكورة بالبحث عن هذه الخزانة ووقع هرج كبير في شأنها حيث لم يقع العثور
عليها ، وتداخل في ذلك الحكام والأمر لله في ذلك .

الكلام على الكنز المطلسم في المشاهد التي ألفها الخليفة المكرم سيدي الحاج على حرازم برادة ، وما نسجه بعض المتقولين على منوالها من التقولات عليه وعلى الشيخ رضي الله عنه

قد تقدم لنا التنبيه على أمر النبي صلى الله عليه وسلم الشيخ رضي الله عنه باتخاذ

الواسطة لبيانه مطالبه الذي يكتبه . فاتخذ رضي الله عنه في بعضها الواسطة الشريف سيدي بالقاسم الشائي ، حسبما أشرنا إلى ذلك في ترجمته من كتابنا رفع النقاب بعد كشف الحجاب وغيرهما . مع اتخاذ الواسطة المعظم سيدي محمد بن العربي الدمراوي وبعد وفاته اتخذ الخليفة السيد الحاج علي حرازم برادة . وكان كل واحد يجيب الشيخ رضي الله عنه عما سمعه من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، ويوجه الجواب له كتابة بلفظ الرسول عليه السلام والمشافهة حسبما تأتى له ذلك . وقد وقفت على شيء من ذلك بخطهم رحمهم الله .

ووقفت عن المشاهد التي ألفها الخليفة المذكور بخط يده على نسق بديع . وقد اشتملت على وقائع عالية المنال لم يداخله فيها شك ولا ارتياب ، مما لا يراه إلا مثله من العارفين في هذا الجناب ، مترجما فيها عن حال الشيخ رضي الله عنه وعن مقامه ، وما خصه الله به من محض فضله وكرمه وجوده وإنعامه ، ووساطة بينه وبين إمامه وسماها : بالكنز المطلسم في حقيقة سر اسمه الأعظم . وفصلها في فصول جعلها على هذا الترتيب . مشاهد الاسم الأعظم وما خصه الله به من الفضل والثواب وقد تكلم على مرتبته الظاهرة والباطنة . وكذلك جعل في مشاهد صلاة الفاتح لما أغلق . وفي خلال ذلك أتى بأجوبة من النبي صلى الله عليه وسلم عن أسئلة من الشيخ رضي الله عنه وبعضها من صاحب هذه المشاهد . وقد وصف في كل مشهد الحال التي رأى فيها سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، والمظهر الذي ظهر به من حضور بعض الذوات المحترمين من الأولياء والأنبياء وغيرهم من الشيخ وأصحابه ، مما لا يكاد يري إلا في مثل تلك الوقائع والمشاهد الروحية من عالم الرؤيا أو عالم الآخرة . ولا ينكر مثل ذلك إلا من ينكر المبشرات التي هي جزء من ست وأربعين جزءا من النبوة . مع كون الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له ، فلا معنى للانتقاد على من رآها أو رؤيت في حقه (١) .

---

(١) حكم المشاهد التي يراها المؤمنون ، حكم الرؤيا . والأصل في الرؤيا التأويل . فقد رأى صلى الله عليه وسلم أنه شرب لبنا ثم أعطى فضله عمر . =

وإنما الأمر الذي ينتقد ولا ينبغي قبوله هو ما نسج على منوال هذه المشاهد فقد تقولت على الطليعة المذكور مقالات زيدت في المشاهد التي يتداولها بعض المولعين بذكر المستغربات في هذه الطريقة الأحمدية بين الإخوان . فاختلقوا مشاهد في فضل الطريقة وفضل المتقلد بقلادتها ، وأطلقوا العنان بما ظنوا أنه نافع في تطمين قلوب

ـ قالوا فما أولته يارسول الله ؟ قال : العلم

وقد روى البخاري أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لم يبق من النبوة إلا المبشرات . قالوا : وما المبشرات ؟ قال : الرؤيا الصالحة . (كتاب التعبير ص ٢٩ جـ ٩)

وروى الحاكم في المستدرك عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيت في المنام كأن أبا جهل أتاني فبايعني فلما أسلم خالد بن الوليد قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قد صدق الله رؤياك يارسول الله هذا كان إسلام خالد . فقال : ليكونن غيره . حتى أسلم عكرمة ابن أبي جهل وكان ذلك تصديق رؤياه . قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي

وروى الحاكم أيضاً في المستدرك عن أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : رأيت لأبي جهل عذقا في الجنة . فلما أسلم عكرمة بن أبي جهل قال يا أم سلمة هذا هو . ص ٤٢٣ جـ ٣

ولابد من عرض المرائي والمشاهد على الشرع ، فما وافق الشرع أخذنا به ، وما لايوافق ظاهره الشرع يجب تأويله بما يوافق الشرع وإلا لم نأخذ به . وقد قال الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه ، وقد سئل أيكذب عليك ؟ قال : نعم، إذا سمعتم عني شيئاً فزنوه بميزان الشرع فما وافق فاعملوا به وإن خالف فاتركوه .

فكل ما في الطريق مرجعه إلى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاشك أن الرؤيا قد يقع فيها الوهم لبعض المؤمنين وقد يخفى وجه تأويلها على بعضهم .

أهل الإيمان . وقد زادوا في الطين بلة بما ذكروا في ضمن ذلك من الطامات والترهات الخليقة بالانتقاد من علماء هذه الطريقة فضلا عن غيرهم ، مما يشوش على المعتقدات فالواجب على الإخوان كافة وعلى المقدمين خصوصا ، عدم الالتفات إلى ما هو رائج من هذه التقولات الموسومة بالمشاهد فإنها ليست من الطريقة في شيء . وأقبح حالا من مختلقها ، من يتمسك بها ويتبجح بذكرها للعامة ، وينزلها منزلة المنقول المقبول عند الشيخ رضي الله عنه . مع إن الواقف عليها لا سند له فيهـا ولا في صحتها ، إلا ما كان من بعض هذه المشاهد التي ثبتت عن الخليفة ، وهي كلها سهاء مع مبشرات في عالم الخيال . وقد تفرقت شذر مذر . ولا وجود بيد الإخوان إلا ما هو من قبيل المشكوك فيه . وقد جعل ذلك بعض المقدمين الجهلة المتظاهرين بزي المفتوح عليهم في الطريقة ، من الأسرار التي أحرزوا عليها بعد اجتهاد كبير . فينسخها عنهم من تلقاها منهم ، وينسخها آخر ويفرغها في القالب التي اقتضتها قابليته ، ويعمل على شاكلته فيها ، حتى تظهر في صورة المنكر الذي كثر الانتقـاد به على طريقتنا المحمدية . وما منشأ ذلك إلا الدخلاء في الطريق والجهال من هذا الفريق ، ولله في خلقه شئون . فقد عمت البلوى بالمدعين للخصوصية ، بما ينتحلونه من خصائص ومزايا بين العامة والخاصة وتمسك جل أصحابه الأغراض بالحبال الواهية من خيوط العنكبوت في التحزب في غير الحق .

ولنذكر في هذا المحل ، طرف رسالة كتبها الولي الصالح سيدي العربي بن السائح رضي الله عنه ، لبعض خواص أحبابه مبينا له حال الصادق في السلوك من حال غيره فقال بعد كلام ما نصه : وسأذكر لك أمرا واحدا مما يتميز به حال هؤلاء الدجاجيل الكذابين عن غيرهم . وهو أن كل من رأيته مؤثرا لذكر النوادر الغريبـة من الكرامات الخارقة والأذكار الزائدة والأسرار العجيبة ، معتمدا في جل ما يذكره من ذلك على التخيلات المريبة ، منوها بتلك الغرائب ، عوضا عن التنويه بالورد اللازم والأذكار اللازمة بلزومه ، مستغرقا في الهوج بذلك كما جلس أحد من الإخوان فاقطع عليه من غير تردد في أمره بأنه ضال مضل فتان . وكل من رأيته يجعل ذكر

الورد اللازم والأذكار اللازمة بلزومه ، مستغرقا في التنويه به وبفضائله ، حاثا بغاية جهده على إقامته في المحافظة على شروطه وآدابه ، بعد الحض على إقامة الصلوات المفروضة بإتقان بشروطها ووسائلها ، والمحافظة على تتميم أركانها وآدابها وفروضها وسننها ومستحباتها وفضائلها ، موفرا لإيقاعها على الوجه الشرعي المبين في الكتب الفقهية ، مع العلم بذلك ، وتعلمه إن كان جاهلا ، كما أكد على ذلك سيدنا رضي الله عنه ونصائحه ، متظاهرا بذلك كله بين الخاص والعام من الناس ، جاعلا حديثه كله في الكتاب ، فاعلم أنه صادق في دعواه ، قد أخذ الله بيده فوقاه مكر الشيطان وشر نفسه وهواه . فالزم محبته وموالاته ، واحمد الله تعالى حيث هيأ لك في سابق غيبه مصادقته ومواخاته ، واحن بقلبك عليه ، حنو الكريم على ضيفه ، والشجاع على سيفه . فإنه لا محالة إن حصلت منه على الصفاء ، عدة في الشدة وزينة في الرخاء . إلا أنه أغرب من عنقاء مغرب ، وأعز من الكبريت الأحمر في المشرق والمغرب .

وإذا صفا لك من زمانك واحد فاشدد عليه وأين ذاك الواحد

لكن القدرة صالحة ، ومجارى المواهب الربانية في كل زمان بكل فضل طافحة وإذا تحققت العناية فكل سانحة بارحة ، وما أشبه الليلة بالبارحة . إذ لا إبان ولا وقت كما قيل إلا الأزل ، ولا سبب إلا العناية السابقة حيث لا أمل ولا عمل جف القلم بما أنت لاق ، فسبح بحمد ربك على الإطلاق . ولا تيأس من رحمتـــه الواسعة وإن ضاق الخناق .

هذا وإياك يا أخي أن يفضي بك التحفظ المطلوب في بابه ، إلى سوء الظن المفضي إلى سوء الخلق ، مع عباد الله ومن انتمى بأدنى انتماء إلى جانبه . فإن المقام محرر ولكل حال ومقام لخير ولشر مغمز والمسيب له مندوحة عن كل منزع وإذا كان المس ظريفا لم يقطع . انتهى المقصود من هذه الرسالة .

وقد نقلنا هذا في غير ما محل من كتبنا في الطريقة ، وكررناه فيها ليتقرر معناه للطالبين ، وليتحققوا بأن طريقتنا مبنية على أساس متين . وأنه لا التفات فيها إلى

النقولات المختلقة والخرافات المزوقة ، لكونها غنية عن الباطل بالحق ، والحق يظهر من معني ومن كلم . والله حسيب المتقولين . وقد أوضحنا خلال ما نقلناه هنا من هذه الرسالة معنى بعض الجمل بزيادة قليلة لا بأس بها وبالله التوفيق .

الكلام علي الكنز المدفون فى مطالب القطب المكتوم الذي ظهر فى عالم المطبوعات منقولا عن الشيخ

لقد كان الشيخ التجانى رضي الله عنه ، بعد الفتح عليه بالاجتماع بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، شديد الحياء من سيد الأنام عليه السلام ، حتى كان من عظيم احترامه لا يشافهه بطلب من المطالب الخاصة به أو لغيره . فكان يكتب مطالبه قبل تهيئه للاجتماع به ، ويجعله بين يديه حالة التوجه للاقاته بالذكر الذى كان يذكره لذلك . ويطلب فيما يكتبه أن يضمن الرسول صلى الله عليه وسلم له تلك المطالب . وتارة يوجهها للواسطة الذى أمره باتخاذه فيعرضها الواسطة على النبي صلى الله عليه وسلم ، بحضر الشيخ رضي الله عنه وفى غيبته . فيجيبه صلى الله عليه وسلم لما طلبه ويكتب الواسطة ذلك الجواب ويبلغه للشيخ رضى الله عنه . فيعمل بمقتضى جوابه ويتيقن بالوفاء بما ضمنه له أو لأحبابه بسلامة صدر ، وهو من المبشرات التى يفرح بها من منحه الله بها من غير التفات لما وراء ذلك من الكيد المحروم صاحبه به من الخير الكثير .

ولما وقف بعض المتقولين على بعض تلك المطالب التى كتبها بخط يده رضى الله عنه تسخوا على منوالها على حسب ماظهر لهم . إما ليستلفتوا أنظار العامة للمرتبة التى منح الله بها الشيخ رضي الله عنه ، فيزدادوا فيه محبة إن كان هذا المنقول من الصحيح وإما ليحصل النفور من الشيخ ، بما يراه مكتوبا من المطالب التى فى جلها مالا تحمله العقول إن كان من المتعصبين . ومجال مثل هذه الأغراض فسيح والله حسيب المتقولين فظن من لا اطلاع لهم على تلك المقاصد التى صدر النقول من أجلها ، أنها من مطالب الشيخ رضى الله عنه فنسبوها إليه أو نقولها عليه ، لأغراض أخري يعلمها الله

وقد صدر ذلك غالبا من الجهال المقدمين في هذه الطريقة ، الذين يظنون أن ذلك يكسبهم مزايا بين إخوانهم في هذه الطريقة المحمدية ، فيعظم شأنهم لديهم ويعدون ذلك من أسرار الطريقة طبق ما أشرنا إليه مراراً .

ولقد وقفت على كثير من تلك المطالب المنقولة على الشيخ رضي الله عنه ، وعزمت على نقل شيء منها هنا ، ليكون المطلع عليها عارفا بالمنقول منها على الشيخ رضي الله عنه ، ولكنني أعرضت عن ذكر ذلك هنا .

وقد تحققت ولله الحمد بالصحيح منها وبالباطل منها مما وقفت عليه في الجواهر والجامع ومواهب المنان ، مع ما ساقته يد الأقدار إلي مما كتبه الشيخ رضي الله عنه وهو بخط يده عندي ، نقلته مباشرة من غير واسطة في النقل ، إلا من نقله لي بإذني حيث لم أجد وقتا لنقله بنفسي ، لكن بعد اطلاعي عليه بخط الشيخ قدس سره ، فميزت بين المنقول وغيره ، لما تحققته من ذلك مع فراسة أرى بها وجه تلك المطالب فتعين على أن ألفت تأليفا سميته : برسالة الامتنان والرحمة إلى سائر الأمة ، تكلمت فيه على المطالب التي صحت لدي ، بما فتح الله بها على ، وكان الباعث على ذلك ما ورد على من الوارد الذي لا يمكنني الإعراض عما يأمر بكتبه مع إذن خاص عن رؤيا صالحة رآها بعض الثقات من إخواننا رحمه الله :

ولنكتف هنا بالإشارة إلى ما ظهر في عالم المطبوعات في هذه الأيام من تأليف سماه طابعه : بالكنز المدفون ، وجله مكذوب منقول على الشيخ ، وقد اشتمل على طامات من المنقولات ، بعبارة ركيكة ، يقطع ويجزم من يعرف ما لسيدنا رضي الله عنه من الاقتدار على إفراغ المعاني البديعة في قوالب الكلم الجامعة ، بأن هذه المطالب منقولة عليه وليس من كلامه قطعا . ولا نحتاج إلى نقله هنا بعد الإشارة إليه مع كونه مطبوعا ، وقد أشرت إليها في غير هذا المحل والله حسيب المنقولين .

الكلام على شرح الهمزية للخليفة المذكور رضي الله عنه

لقد طبع بعض المحبين شرح همزية الإمام البوصيري للخليفة سيدي الحاج علي

على حرازم براده، الذي أملاه الشيخ عليه . ولقد كنت في شوق عظيم إلى الوقوف على هذا الشرح . وهو من جملة التآليف التي طالعتها في عالم الخيال ، حين كنت متفرغاً عن جميع الأشغال ، بعد ما كنت سمعت به . وكان أخبرني مفتي الحاضرة الفاسية العلامة السيد محمد ماني الصنهاجي رحمه الله ، وواعدني بإعارته لي بعد ما أخبرته برؤياي . فطال انتظاري حتى وقفت على طرف منه بخط مؤلفه رضي الله عنه ، فانشرح الصدر بمطالعته وتحققت بأن صاحب النية الصادقة يصل لمقصوده ولو طال به الزمان . ثم أتى الله بنسخة أتممت منها نسخي ، غير أنها اشتملت على تصحيف ولحن وتحريف(١) فعزمت على إصلاحها ووضع تعليق مناسب عليها ، إلى أن برزت في حلة الطبع السلكي مرتين مع ما هي عليه ، فبردت القريحة مما كانت عزمت عليه . والخير بلا شك في الواقع .

وقد تطرقت إلى هذا الشرح من المنتقدين تقولات . فبعضهم يقول باستحالته ، وبعضهم بتفاقم جمله في تفصيله وإجماله . وبعضهم يتتبع منه السقطات المطبعية مع أنه

---

(١) ومما حرف في هذا الشرح مما لا يقوله الشيخ رضي الله عنه :

إن السيدة عائشة رضي الله عنها سألته صلى الله عليه وسلم عن رؤيته الله عز وجل : هل رأيت ربك ؟ فقال : لا

فهذا غير صحيح . وإنما سألته عن معنى قوله تعالى : (ولقد رءاه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) فقال صلى الله عليه وسلم : ذاك جبريل .

فسؤالها عن معنى الآية ، هل معناها أن المذكور في هذه الآية هو الله عز وجل فأجابها أن المذكور في هذه الآية هو جبريل عليه السلام ولم تسأله عن رؤيته له عز وجل من حيث هي وقد ثبت جوازها بسؤال الكليم عليه السلام فإنه لا يعقل أن تكون مستحيلة ويجهل استحالتها نبي من أولي العزم .

وحيث إن أولياء الله يثبتون الرؤية فالصادق المصدوق لا يخبر بغير الواقع .
وهذا مما أشار إليه سيدي أحمد سكيرج مما وقع في هذا الشرح من التحريف .

من أحسن الشروح وألطفها، وكذا الهمزية والتنوية بقدر ألطفها ووضع هذا الشرح عليها، ولا يقدر قدر ما قلناه إلا من كان سليم الطوية حسن الاعتقاد.

وما علينا في الذي فيه حسد ... أو انطوت نيته على حرد

فإن الحب معذور، والبغض معذول، والسلامة في التسليم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

الكلام على الكتاب المسمى بمشروب السر الرباني
في مناقب القطب التجاني

قد وقفت على توليف عند بعض الإخوان في قبيلة بني يزناسن من دائرة مدينة وجدة من الإيالة المغربية، وأنا متول لخطة القضاء بها على هذا التوليف في نحو كراسين. ذكر فيه بعض فضائل الطريقة التجانية، وما هو من الكرامات والفتوحات الربانية مما رآه في نظره من المناقب المختصة بالشيخ التجاني رضي الله عنه، وأصحابه العامة منهم والخاصة، ونوه غاية التنويه بصاحبي الشيخ رضي الله عنه السيد عبد المالك بوطيبة والسيد عبد الباقي المرشدي. وأفرط غاية الإفراط فيما نقله عنهما من ذلك بعبارة عامية، دالة على أن ذلك الكلام لا يصدر إلا عن جاهل بالطريق، أو أبي زنديق، أو مبغض في الشيخ وفي صاحبيه المذكورين وفي طريقته الأحمدية ليتداول العامة ذلك فيقوم ضجيج الإنكار بما نسبه إليهم من تلك التقولات، التي هي من قبيل الترهات والتهورات، التي تشل الأفكار وتشتعل بها نار الإنكار وقد حدثني محل الأخ المحب الذاكر السيد أحمد بن الصائغ سبط شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه. فطالعه من أوله إلى آخره ومزقه وأمر بحرقه. وحذر الإخوان من مطالعته وحرق كل نسخة عثروا عليها منه قائلا إن نسبة الشيخ رضي الله عنه وفضل طريقته لا يحتاج إلى مثل ما ذكره مؤلف هذا التوليف. وقد تشعوذ مؤلفه باضطراب مقالاته. وسماجة تقولاته. مع ذكر بعض المكروهات الممقوت قائلها والمطرود معتقدها. وقد نزه الله ساحة الطريقة

الأحمدية عن تلك الترهات التي تصطك من سماعها الآذان . ولا يغيظها من فضائل الطريقة أحد من الاخوان ، إلا من كان على شاكلة مؤلفها من جهلة الطريق . وقد أشرت إلى هذا التوليف في غير هذا المحل بما ينبغي للاخوان أن يكونوا منه على بال . فلا يعتقد أحد صحة مافيه مما نسبه لهذه الطريقة التجانية من المزايا والفضائل ، ونحو هذه المسائل . فجميع ذلك مكذوب لايعتقده إلا من أعمى الله بصيرته . ولولا طوله وبشاعة مافيه لنقلناه هنا باللفظ مع ملاحظة أمر حفيد الشيخ بحرقه والضرب عنه صفحا . وإن كنا نتحقق بتلهف بعض من سمع به على الوقوف عليه لأغراض خصوصية تعلقت له به ، إما للفرح بما فيه مما يعده من الأسرار ، أو ليتسع له المجال من الانكار إن كان من المنتقدين الأشرار . ونحو ذلك مما طريقتنا الأحمدية بريئة منه . والله متولي الانتقام ممن يصورها في صورة اعتقاده البشيع ، ويتقول عليها ما يقوله من القول الشنيع . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الكلام على الكتاب المسمى بالجامع لما افترق من العلوم
الفائضة من القطب المكتوم رضي الله عنه .

هذا التأليف أحد مؤلفات العلامة سيدي محمد بن المشري رحمه الله وقد اشتمل على جل ما انطوي عليه كتاب جواهر المعاني ، مما يتعلق بالطريقة ، وأجوبة الشيخ رضي الله عنه ، من تأييد كلامه بما نقله من كتب الصوفية . وزاد فيه مسائل من هذا الباب لطول اجتماعه بالشيخ رضي الله عنه بعد وفاة الخليفة سيدي الحاج علي حرازم مؤلف الجواهر بنحو الستة أعوام . وقد اشتملت النسخ الموجودة على التصحيف ، ولا يضر عند من له خبرة واستبصار . ولقد كان مؤلفه من أفاضل علماء وقته الذين أخذ عنه الفحول . وكانت له قدم راسخة في المعقول والمنقول . ويكفي من مناقب للشيخ رضي الله عنه إذ عانه له وأخذه عنه ، والقاء السلب بين يديه . وقد استخلصت من هذا الكتاب ما انفرد به عن جواهر المعاني في توليف . عنونته :

٥ - الاجابة للطلب ٥

الجامع عن الجواهر ، وللمؤلف تآليف أخرى أنبه عليها في ما يأتي بحول الله .

بالسر الباهر بما انفرد به

الكلام على كتاب مواهب المنان المسمى أيضا روض المحب الفاني

هذا التأليف من بديع التصنيف ، جمع من مناقب الشيخ رضي الله عنه وأسراره ما يجهل على مطالعه ، وقد انتقد عليه فيه بعضهم ، بأنه اشتمل على مسائل ذكرت في جواهر المعاني وفي الجامع ، فكان من حقه أن لا يطيل بها . كما أنه اشتمل على رموز لا يدرى ما تحتها من المعنى المقصود بها . فإن كانت مما لا يتعين كتمانه ، فما فائدة ذكره ورمزه ؟ وإن كان مما يتعين معرفته ، فلأي شيء وقع الرمز عليه ؟ وفي تلك الرموز تشويش على من طالعه ، وقد يكون مضمنها مما ينكر ، فكان من حقها أن لا تذكر ، وها هنا أيدي المبغضون من التقولات ما زاد في طنين الإنكار عنه ، كما تقول عن الشيخ رضي الله عنه في حل تلك الرموز ، بعض من يدعى الخصوصية في هذه الطريقة من المقدمين وغيرهم ، بما رآه أو رأوه صدقا أو كذبا ، وغالبهم يتبجح بمعرفة ذلك ، ويستجاب في فتحه لطالبيه ما في أيديهم ليقفوا على حقائق ذلك ، وقليل من علماء الطريقة من اطلع على ما هنالك ، فلا ينبغي للمريدين أن يعتمدوا على من يرفع النقاب عن وجه تلك الأستار ، ممن يزعم المعرفة من طالبهم الدرهم والدينار ، فإنه لا ثقة بهم في الوقوف على حقيقة هذه الأسرار . وقد أشرنا إلى ذلك في بعض أجوبتنا من اليواقيت العرفانية ، وفي ذلك كفاية وللمؤلف هذا الكتاب تآليف أخرى قد اشتملت على ما ينفع الخاصة والعامة ولنذكر من ذلك هنا ما اطلعنا عليه فنقول :

الكلام على كتاب نصرة الشرفاء للعلامة ابن المشري رحمه الله

هذا الكتاب في نحو كراسة ، جمع فيه ما تلقاه عن الشيخ رضي الله عنه في الحب في آل البيت ، بما يتحقق مطالعه ما للشيخ قدس سره من كامل الحب في هذا الجانب وصدق محبة في جدهم عليه وعليهم السلام ، وقد نحى منحى الناثل :

آل النبي لهم في نفس نسبتهم قدر عظيم له في المجد غايات
والأولياء وإن علت مراتبهم في رتبة العبد والسادات سادات

وقد ضم إلى ذلك مؤلفه ما أروي الغليل وأبرأ العليل وتكدر به قلب الدخيل فانتقد بعض ما أورده المؤلف مما يوجب صفاء الطوية في محبة آل البيت. فقالوا وتقولوا وحولوا الكلم عن مواضعه بما به هولوا. وما على مقالهم أهل الفضل في شيء مما أبدوا انتقاداتهم عولوا، في الذب عن هذا الجواب بلسان الحال قول من قال وينسب للامام الشافعي رضي الله عنه:

إن كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

والحاصل أن رسالة نصرة الشرفاء، من أشرف ما ألف بعد الشفاء، في الأحكام المنوطة في موضوعها. ولا عبرة بالمنتقدين الذين يبرهنون بمثل ما ينتقدون به على ما لهم من قلة الدين. ولله الأمر من قبل ومن بعد

وللعلامة بن المشري رحمه الله. تآليف أخرى خارجة عما يتعلق بالطريقة منها: شرحه لياقوتة المحتاج، التي ألفها الواسطة المعظم سيدي محمد بن العربي الدمراوي في الصلاة على صاحب اللواء والتاج، صلى الله عليه وسلم. وقد رتبها على الحروف الهجائية ونقل عنه الشارح فوائد جليلة، منوطة بخواص كل صلاة من تلك الصلوات. التي منها كون خواص الحروف والأسماء وكل شيء، يتراءي للعارفين مكتوبا بخط القدرة على حروف ذلك وفي خلالها وبأمارات تلوح لهم من حضرة الغيب. ومثل هذا لا تفيه العقول المحجوبة والنفوس القاصرة عن إدراك ما يبرز من حضرات الخصائص الكونية التي يتلقاها أهل المعرفة بالقبول. وهذا الشرح وإن كان لا مساس له بالطريقة التجانية، ولكن فيه نقول عن الشيخ رضي الله عنه. والغالب على الظن أن الشيخ رضي الله عنه، قد اطلع عليه كما اطلع على الجامع وما معه لكون مؤلف ذلك توفي قيد حياته مثل مؤلف جواهر المعاني. فكانت هذه المؤلفات مزية فضل لسبقية

على غيرها من كتب هذه الطريقة الأحمدية ، بنظرة خصوصية من الشيخ رضي الله عنه لها .

ولما كانت بأقوته المحتاج ليست من أذكار الطريقة الأحمدية ، واشتملت على بعض صيغ من الصلوات التي لابد فيها من إذن خاص من مؤلفها أو ممن أذن له بإذن صحيح ، زعم كثير من المقدمين أصحاب الأغراض الشخصية ، بأن لهم الإذن في الصلاة الجامعة منها ، وهي الصيغة التي كان يتلوها مؤلفها فيري النبي صلى الله عليه وسلم للاجتماع به عليه السلام . ولقد طوى ذكرها من صيغ الحرف الأول . وهي لا تذكر إلا بإذن خاص . وليس هذا من أخذ طريقة أخرى على طريقة الشيخ رضي الله عنه ليكون المريد على بال وتحذيره من الثقة بكل مدع للخصوصيات .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

الكلام على دور الأنوار الواسطة المعظم سيدي محمد ابن المرتضى الدسراوي وما تقوله المتقولون فيه

قد وقفت على النسخة الأصلية من دور الأنوار التي بخط الواسطة المعظم ، عند شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد الميدلاوي ثم حازها من بعده أخينا الملازمي ولده سيدي محمد الميدلاوي . وكنت عازما على أن لا أمكنه منها ، خشية أن يدفعها لمن لا يستحقها . فخشيت ما هو أعظم من ذلك ، من أن يمنعني من ملازمة شيخنا المذكور . ولقد دخلت عنده في خير كان بعد أن اطلعت على الدائرة المشتملة عليها بخط الفقيه العلامة أكنسوس رحمه الله . ثم عثرت على بعض النسخ الشبيهة بها وليست منها في شيء . ولا تسأل عن المتحجبين بل المتبجحين ، المدعين للاطلاع على هذا الدور الأعظم ، وما يتقولونه في حقه ويشوهون بشأنه ، بين العامة المتطلعين الاستطلاع على المستغربات المنسوبة لهذه الطريقة ، وجعلوا ذلك من أسرار الطريق . مع أنه لا تعلق له بالطريق . وإنما نقله الواسطة المعظم الشيخ في رزنامة حكمها في كتابه المصغر به رسم دائرة الدور المذكور . ولا أدري هل وصل الشيخ رضي الله عنه أو لم يصل لأنه لم يرد عن الشيخ رضي الله عنه فيه كلام . وقد

أشرت له في كتابنا نيل الأماني في الطب الروحاني والجثماني المروي عن الشيخ التجاني رضي الله عنه .

وإن تشوفت نفسك لمعرفة صورته وما هي ، فاعلم أنه دائرة لها باب يدخل منه لوسطها إذا كتبت على مقدار ما يسع جلوس الشخص في وسطها ليذكر بعض الأذكار . وقد كتب بين الدائرتين أسماء ودعوات وحروف ، وحصل بباب الدائرة وفق ثلاثي معمر بعدد بعض الأسماء . وقد ذكر الواسطة المذكور أن الجدول في وسطه ألف دلائل الخيرات ، وفي وسطه يختم الديوان ، ولا ينبغي أن يطلع عليه أحد إلا على وضوء ، وليحذر من رؤيته النساء والصبيان . وذكر له بعض الخواص ليس عليها طريقتنا . ولولا أني وقفت عليه بخط الواسطة المذكور ما التفت إليه ، ولا اعتمدت صحة ما عثرت عليه من ذلك عليه . فالأولى بالمريد أن لا يلتفت لما يوجد بيد بعض من اتخذ مثل ذلك سببا لنيل أغراضه مما في أيدي الإخوان ليطلعهم عليه فإن الاشتغال بذلك لا نتيجة تحته . والتشوف إلى معرفة ما اشتمل عليه يلهي المريد عن المقصود منه في الطريقة . فليعرض عنه بالكلية ، وليقبل على ما هو بصدده في الاقتداء بالشيخ رضي الله عنه ، في ملازمة أذكار الطريقة التي توصله إلى المحبة الخصوصية ، في جانب خير البرية ، فينال بذلك الأمنية قبل حلول المنية .

على أن العمل بهذا الدور ودعواته ، ليس من الطريقة في شيء ، ولا فائدة فيه للمريد ، السالك على المنهج القويم لنيل ما يريد . فعدم التشوف للتحصيل عليه أولى وهذه من النصائح التي أبديها للإخوان . ولا يقبلها مني إلا من تحقق بنصحي . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

الكلام على رسالة الفقيه أبي العباس مولاي أحمد التلاقي
ابن عبد السلام الودغيري ، التي أثبت فيها ختمية
الشيخ رضي الله عنه

قد ذكرت هذه الرسالة برمتها في ترجمته من كتابنا كشف الحجاب وقد اشتملت

على ما ضاقت به حوصلة المنتقدين . وقالوا فيها ما قالوه . وقد أنشد فيهـــا هذين البيتين ونسبها للشيخ الأكبر ابن عربي الحاتمي :

أنا ختم الله الولاية فانتهت   الينا فلا ختم يكون لها بعدي
وما فاز بالختم الذي لمحمد   من أمته والعلم إلا أنا وحدي

فأنكر ذلك بعض الطاعنين على كتب ابن عربي ، وقال إنه لم يذكرها لا في الفتوحات المكية ولا غيرها . وأنكر أن يكون رجع ابن عربي من ادعائه للختمية

والحق إن ابن عربي رجع عن ادعائها بتصريح وتلويح في غير ما محل من كتبه ، حتى إنه ألف عنقاء مغرب في ختم الولاية . فهو بلا شك غيره . وقد أطلنا النفس في معنى الختمية والطاعين في تويلف خصوصي في الختمية والكتمية . جعله الله من العمل المقبول . وقد أنشد البيتين المذكورين في الرماح ونسبهما للفتوحات . واطلعها في النسخة التي هي عنده لأن نسخ الفتوحات الغير المطبوعة فيها زيادات كما يرى ذلك من وقف عليها وبالله التوفيق .

الكلام على الإفادة الأحمدية التي ألفها الشريف الود غيري ،
سيدي الحاج الطيب السفياني ، أحد خاصة أصحاب الشيخ
رضي الله عنه ، الآخذين عنه مشافهة ، وهو جد
مقدم الزاوية الآن بفاس زاد الله في معناه

هذا الكتاب مشهور بين الإخوان جامع لبعض المقالات الصادرة من الشيخ رضي الله عنـــه وأسبابها . جمع فيه مؤلفها ما سمعه بنفسه من الشيخ قدس سره ، مشافهة أو بلغه على لسان من سمع منه ذلك . ورتبه على حروف المعجم . وقد أدخل جله الولي الصالح سيدي العربي بن السائح في بغيته ، وفي بعض مكاتبه . كما فعل ذلك العلامة أكنسوس في بعض مؤلفاته ، مما يقول فيه غالبا بلغني عن سيدنا رضي الله عنه وقد اختصرته في كشف الحجاب على وجه مناسب ، وجعلت عليه شرحا لطيفا سميته الاجادة على الإفادة .

وقد اضطربت فيه أقوال المنتقدين ، ووجدوا مجالا للقول ، فقالوا وتقولوا على حسب ما ظهر لهم ، والله حسيبهم ، وقد بلغنى عن المقدم بصرى المكناسي ، أنه جمع عددا من نسخها ، لئلا ينتشر فى يد العامة ، فيطلع عليها من لا يستحقها ، ولم يتم له الغرض الذى قصده بذلك . أما من اتسع صدره واستنار باطنه بنور التصديق فإنه يفهم الصواب مما جمعه فيها ، ويضع الكلام الذي لم يقبله عقله موضعه . وحسب القاصر عن فهم كلام العارفين التسليم أن أراد السلامة لنفسه ، وإلا فليقل ما ظهر له ، فما على مثله بعد الخطاء وأما المحبون فقد رفع لهم عن وجه الصواب الغطاء ، ولا يؤثر كلام المنتقد فى المعتقد منهم شيأ ، إلا من كان له غير مخلص فى النية ، فهو يطير مع أول صيحة فلا عبرة به . والطريقة كالمدينة ، تنفي عنها الخبث ، والعارف الإلهي يصرف عنها من ليس من أهلها . وقد تكلمنا على كلمات من حروف هذا التأليف ، مما لا يسع المنصف إلا الإذعان ، لما فى ذلك من الأدلة التي لا يحتاج بعد البرهان فليراجع ذلك من أراده فى محله . وبالله التوفيق(١)

---

(١) ذكر سيدى أحمد سكيرج رضى الله عنه ، أن سيدى العربى بن السائح كان يرى أن سيدى الطيب السفيانى ، صاحب الإفادة ، روى بعض الكلام عن الشيخ رضى الله عنه بواسطة بعض الأصحاب ، وبعضهم لم يضبط كلام الشيخ بعينه ، فروى القدر الذى فهمه عنه رضى الله عنه . ويصح أن يكون مقصد الشيخ رضى الله عنه غير ما فهم هذا الناقل عنه .

ولذلك ذكر سيدى العربى بن السائح فى كتابه بغية المستفيد ، ماهو صحيح من الإفادة فى البغية . ولم ينقل فيها مالم يثبت عن الشيخ رضى الله عنه . وذكر الشيخ سيدى أحمد سكيرج أن مالم يذكر فى البغية لا نعتمد نسبته إلى الشيخ رضى الله عنه

بل فى جواهر المعانى مانص سيدى الحاج على حرازم فى جواهره أن بعض ما فى الجواهر نقله عن الشيخ مشافهة ومنه ما نقله عن بعض الأصحاب عنه .

والشيخ رضى الله عنه سئل : أيكذب عليك ؟ قال : نعم ، إذا سمعتم عنى شيئـــا فزنوه بميزان الشرع فإن وافق فاعملوا به وإن خالف فاتركوه . أى فهو مكذوب عليه .

الكلام على الرماح تأليف العارف أبي حفص الفوتي رضي الله عنه

هذا التأليف يدل على مقام مؤلفه وقدر منصبه في علم الظاهر والباطن ، يعترف له بالفضل وبفصل الخطاب ، كل من طالعه ولو كان من أهل الانتقاد . والذي كبر عليهم ما أبداه فيه بحيث لا أحد منهم يناقيه ، إلا ما كان من بعض المقالات التي استملكت آذانهم لسماع الحق فيها . فقامت قيامتهم لأجلها ، مما يرجع لمقام الشيخ رضي الله عنه وفضل طريقته . وقد أوردها المنتقدون عليه وأحصوها ، ووقع الرد عليهم وفرغ منها بما يطول تتبعه .

ثم انقسمت أفكار الإخوان فيما بينهم مما حرره مؤلف هذا الكتاب ، فمنهم من قال إن الرماح كل شيء فيه إلا الطريقة . وهذا القول يظر قائله إلى ما جلبه مؤلفه رحمة الله عليه مما تقرر في غير الطريقة التجانية ، من شروط الذكر ونحوه ، لأنهم لا يعتمدون عليه في هذه الطريقة ، مع كونه لا بأس به إن عمل به مريدها وإن لم يكن من الطريقة في شيء . وإنما اتساع عارضة مؤلفه وطول باعه هو الداعي لذلك ، من غير قصده للتطويل بنحو ذلك ، مع ما في ذلك من الفوائد المالية .

ومن قائل إن الرماح في هذه الطريقة مثل المدونة في المذهب فهو به كل ما يتوقف عليه المريد . مع التحري في النقل الذي صار معتمدا لمريد الوقوف في الطريقة على عين الحقيقة ، فرحم الله مؤلفه وجازاه خيرا ، فإنه قد انتصب في عل الخلافة عن الشيخ في الإرشاد ، فانتفع به أهل الاعتقاد ، ورد الله به غيظ ذوي الانتقاد ، الساعين في نقض عهود المريدين بالفساد . عفا الله عنا وعنهم .

الكلام على السيوف للشيخ أبي حفص المذكور

لقد جاء هذا التأليف على نسق تأليف الرماح . إلا أنه شديد الوطأة على المنتقدين ، وكبر عليهم أمره . ولقد طالعت منه فصولا قرأت أمام السيوف ، وهي تقطر بدما ، الرد على المنتقدين في خلل سطوره التي رسمت فيها ، عندئذ

المروف . ولا أبالغ إذا قلت ، إن من طالعه من المنكرين يبادر بالقاء السلاح ، ولكن إن كان صاحب علم وإنصاف ، أما الجاهل أو المتعصب فهو لا ينأى الحق عما أصيب به فكره من الانحراف ، فهو مريض القلب وما على المريض من حرج نسأل الله العافية .

الكلام على الجيش الكفيل للعلامة سيدي محمد الصغير الشنجيطي رحمه الله ، مع أرجوزته المسماة بسارية الفلاح

هذا الكتاب قد أبان عن وجه الحق الغطا في الطريقة ، وبين الصواب الذي يتمسك به طالب الحقيقة . فقطع لسان المنكرين بالحجة . وألقم حجرا فم كل متقول وقف حاجرا في سلوك هذه المحجة . ولو طالعه المنتقدون على الإخوان ، لخجلوا فيما يتقولونه من البهتان ، بحل ما يتبجحون بانتقاده . فهو فيه الجواب عنه مبسوط بألطف عبارة ، تأخذ بمجامع القلوب ، بما لم يبق معها كلام لعاقل ، بالبين الواضح والأدلة القاطعة لأوداج المنتقضين . وكل من جاء بعده من المناضلين عن الطريقة فهم عالة عليه . وكل من تقول تقولا في الطريقة فهو عالة على من رد عليه . لم يقصر خصمه ، المسمى ديبج الكليلي ، المتجاهر ببغض الطريق وأهلها ، فيما ألقاه من الاعتراضات ، فعارضها بما وقف أمامه كل جاحد مطأطىء الرأس مبهوتا ولقصور جل المنتقدين عن معرفة هذا الكتاب ، مع كونه مطبوعا ، يخوضون فيما وقع الفراغ منه إيرادا وجوابا بما يشفي الغليل . فكل ما يروج بين يدي المعربين لمجالس الإنكار بالخزعبلات ، ويتطاولون به من الانتقادات ، فمن ديبج منقول وهو مفروغ بالجواب عنه في الجيش بما يبهر العقول . فينبغي للمريد الذي لا يحسن الجواب مما يلقيه هؤلاء المنكرون أن يحيله على الجيش . وساريته التي نظمها مؤلفه أرجوزة جمعت فأوعت . ولقد أشار علي شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه بشرحها . وإلى الآن لم يتيسر لي ذلك . فنسأل الله أن ييسر لنا أداء المأمورية . وينفعنا بالعلم ويوفقنا للعمل به ، ويجازي المؤلف على حسن صنيعه أحسن جزاء ، ويشملنا برداء العفو والعافية جميعا آمين .

الكلام على ميزاب الرحمة لسيدي عبيدة الشنجيطي أخي مؤلف
الجيش المتقدم مع الكلام على غيره من تآليفه

من ادعى إتقان صنعة التأليف ، فليأت بمثل ميزاب الرحمة ، في موضوعه أو موضوع آخر يشابهه ، ليبرهن على اقتداره فيما يزعمه . فقد أتى فيه مؤلفه بما بهر المنالين من أهل الطريقة وغيرها . فلقد أبدع ما شاء عقلا ونقلا ، من غير تكلف في الترتيب والتبويب ، واستنباط الفوائد المنوطة بالياقوتة الفريدة وجوهرة الكمال وغيرها ، بما يبرد الغليل . وله تآليف أخرى في الطريقة وغيرها .

ومن اطلع على شرحه لجوهرة الكمال ، المسمى : بميدان الفضل والإفضال ، اعترف بما لمؤلفه من اليد الطولى في العلم والمعارف . وقد ضمنه زبدة الفتوحات المكية ، وغيرها من أسرار كتب الحقائق ، بأوضح تعبير مأذون فيه . وقد اتسعت عارضته في علم الباطن . كما اتسعت عارضة أخيه مؤلف الجيش رحمهما الله في علم الظاهر . فكانا إمامين في هذين الفنين . وقد أقر لهما بذلك كل منصف من أهل قطرهما بما ليس فيه شك ولا مين .

أما لاميته ، المسماة : برحلة التهاني ، المناهزة لسبعمائة بيت ، فقد جاءت على أسلوب بديع غريب في بابه ، مدهش في تصريحاته وتلويحاته . وقد اقترح علي في شرحه أحد خاصة الأحباب فالله ييسر ذلك ليتم النفع به . ولقد انطوت على أنوار وأسرار ، ودافعت عن حمى الطريقة بما يكشف الأغيار ومنتي الأكدار . ولقد بحثت عنها كثيرا . فعثرت عليها أولا عند بعض الإخوان فتمنع منها وبخل علي بها تموقفت عليها فنقلت منها في كتابنا كشف الحجاب ما ظهر لي إنه فيه فائدة الإخوان ومن بات الأسف معي ممن منعنيها . فأتيت بها كاملا في كتابنا رفع النقاب بعد كشف الحجاب نفع الله بالجميع حتى تكون غنيمة باردة عند من لم يقف عليها .

الكلام على منية المريد وشرحها بغية المستفيد وما أوردوه عليهما

أول نظم وقع الاعتناء بشرحه في الطريقة التجانية ، هو أرجوزة ابن بابا

الشنجيطى ، المسماة : بالمنية ، الجامعة لفقه هذه الطريقة بأحلى عبارة ، وأجلى تصريح وإشارة . كشف عن مخدرات معانيها ، العارف الجليل أبو المواهب ابن السائح . وهذا الشرح من التآليف المهمة في هذه الطريقة ، وهو من المعتمد عليه حتى في غيرها سلك فيه مسلك المؤلفين الكبار . وقد جاء في أحسن تصنيف ، وأتقن ترصيف ، مع التحرى التام فيما نقله عن الشيخ رضي الله عنه وعن أصحابه . وطوي فيه بعض أمور تعرض لها الناظم مما يبادر بانتقاده من يدخل نفسه في زمرة الأعلام . ولقد بالغ في تبليغ المقصود من الطريقة وما اشتملت عليه وجه الحقيقة ، وزاده حسن ترتيبه ابتهاجا ، فلم يدع لقائل مايقول . إلا إن المتقولين الذين اعتادوا التجرأ على أهل الله ، أطلقوا ألسنتهم في النظم المشروح ، بأنه أول متن وضع في فقه هذه الطريقة ، التي حاكى بنظمه المتون المؤلفة في فقه الدين . فهذه الطريقة صارت عنده كشريعة أخرى لم يأت بها معصوم ، وجروا الذيل في إنكارهم حتى على الشارح كاشفين جلباب الحياء عن أوجههم فيما يقولون . مع إن ما انتقدوه مما أوردوه ، لا يضر الشريعة . وقد أوجب الشيوخ على مريديهم — قبل الناظم وقبل الشيخ الشيخ رضى الله عنه — أمورا ، ومنعوهم من أمور ، واستحبوا في سلوك الطريقة أمورا ، وغير ذلك مما يحاكى الأحكام الشرعية ، مما هو مقتبس منها في كل حكم بمعنى الكلية أو يقاربه ، كما هو مقرر في كتب الصوفية وقد بسطنا القول في غير هذا المحل مما فيه كفاية في رد مثل هذه الإيرادات الساقطة . ثم أورد منهم على الناظم ، ذكره لأمور لم تكن من الطريق في شيء ، أو ما هو من الزيادات فيها ، وهولوا بما لاطائل تحته ، واعترضوا عليه في تعرضه لأمور ذكرت في المقصد الأحمد ، تبع فيها صاحب جواهر المعاني واعتمد عليه في ذلك ، مع أن هذا الناظم لا معنى للإنكار عليه فيما ثبت لديه ورواه ، ولا التفات منه إلى المقصد المذكور . وقد قدمنا ما أوردوه على الجواهر بما لايحتاج إلى بسطه هنا ، اكتفاء عن ذلك بما ذكرناه في شرحها ، فلا يحتاج فيه هنا إلى اعادة .

ثم انتقد بعض المنتقدين منهم على الشارح ، من كونه أسقط من النظم بعض

أبيات لم يتعرض لها في الشرح ، مثل مسألة التسرى بالإماء المملوكات ، ومسألة السكر الغالب ، ونحو ذلك ، والأبيات مذكورة في الأصل المشروح . فكان من حق الشارح أن ينبه على عدم صحة ما عقده الناظم في ذلك ، أو ينبه على بطلانه ، ولا يحذف الكلام رأسا في مثل هذا الأمر المهم . وهذا الانتقاد مردود عليهم من كل وجه . فإنه لم يتعين على أى شارح كان ، أن يتتبع جميع كلام المشروح من أي فن كان بل له أن يتكلم على مسألة في أبيات ، وأن يعرض عن مسائل في أبيات ، حسبما ظهر له . سيما إذا دعت إلى ذلك مصلحة . فإن مسألة التسرى ومسألة السكر الغالب يحتاج في تحقيق الكلام فيها إلى بسط ، وهو هنا يؤدى إلى ضبض نفوس وتنازع بالإنكار وتفتح أبواب انتقادات ، يحتاج فيها إلى مجادلة مع من لا يقبلون أى اعتذار . هذا على فرض الأبيات المشار لها موجودة في النسخة التي وجهها الناظم إليه . ولربما أزالها مؤلفها بعد ما كان أثبتها في نسخة أخرى . ولربما تفاوض مع ناظمها فاتفق معه على إسقاطها من نسخته المشروحة أو فوض له في تنقيح ذلك حسب ما يقع لذوي الإنصاف فيما بينهم . فالانتقاد بمثـــل هذا غير مقبول ولا يلتفت إليه بحال .

ثم أوردوا عليه هنا تعرضه لمسألة الصلاة في الزاوية وأنها مقبولة قطعا . فمن أين هذا القطع ؟ ولا يعرف إلا من جهة الشارع ، وقد انقطع الإخبار بمثل ذلك بموت الرسول عليه السلام . وكذلك مسألة اشتراط حصول ثواب صلاة الفاتح لما أغلق ، بالشرطين الذين ذكرهما الناظم ، من الإذن الصحيح ، ومن اعتقاد أنها من كلام الله . مع أنها لم ترد عن الشارع ، وقد انقطع الوحى بعده . وأطالوا النفس من هذا الانتقاد . فكان من حق الشارح حذف الأبيات التي تعرض فيها الناظم لهذا الأمر ، كما حذفها في مسألتي الرقيق والسكر . وهذا من المنتقدين انتقاد بارد ولعمري ، لو أنهم نظروا بعين الإنصاف ، ما ذكره الشارح لدى هذه المسائل لرأوا نور الحق الساطع . بالبرهان القاطع . حيث بسط القول في ذلك بسطا يزيح كل قبض . وقد قام في ذلك بحق المشروح بالنقل والفرض . فإن القطع وإن لم يرد من

الشارع . فقرائن الأحوال تقضي به . سيما في حق المخبر من مبشرات إن لم يكن وحيا فقد بقيت بعد الوحي . وقد صدرت فتاوى ممن يعتمد عليهم في الدين بكون القطع في أشياء أخبر بها من ثبتت عدالته مقبول . ومسألة اعتقاد كون الفاتح من كلام الله ، هو شيء خاص لخاص في ترتب الخواص الخواص . وباب مكالمة الأولياء للحق غير مقفول . وليس كلامه بمحصور ، أو ما أخبر به الصوفية غير مقبول . وهذه المسألة يحتاج فيها إلى طول ومزيد بسط ، فليحل المطالع هنا على الشارح لدي تعرضه لذلك ، وما بسطناه في كشف البلوى وغيره ، ليراجعه من أراده وبالله التوفيق .

فهذا بعض ما وقفت عليه من كتب هذه الطريقة المحمدية التجانية ، وما علق بفكري من ذوى الانتقادات . ولقد اتسعت بحمد الله الطريقة ولا زالت في انتشار مع ازدياد مؤلفيها بما فتح عليهم فيها ، ببركة ما لازموه من أركانها ، وظفروا به من خصائصها وأسرارها ، على قدر ما تحمله آنية كل واحد منهم . وكل إناء بالذي فيه يرشح ، على حسب ما لديه من اعتقاد أو انتقاد . وكل يعمل على شاكلته في ذلك .

ذكر بعض الكتب المؤلفة من إخواننا في هذه الطريقة

وحيث نفضنا الجراب مما تقدم ، ألقينا نظرة تفصيلية بعد الإجمال المتقدم فأردنا أن نزين خاتمة ذلك ، بذكر بعض الكتب المؤلفة من إخواننا في هذه الطريقة وبعض المحبين فيها . لتتم الفائدة للأحباب بمعرفة ذلك . ولعلهم يسعون في تحصيلها ليستفيدوا منها علما أو حكما أو حكمة ، فترسخ قدمهم في المعرفة بازدياد حب في الطريقة وأهلها ، مما يؤدى إلى كمال الحب في ملقنها الشيخ عليه السلام . وفي حبه محبة الله التي هي المقصود من السلوك

شروح جوهرة الكمال :

فمن ذلك شروح جوهرة الكمال ، لسيدي عبيدة وهو المسمى : ميزاب الفضل

والإحسان ، وهو شرح حال النفس . يقال فيه - وهو خليق بذلك - إنه زبدة الفتوحات المكية ، كما أشرنا إليه فيما سبق . وهو بعبارته جرى فيه على سجية من غير استكثار نقل ، عادل على ما لمؤلفه من المعرفة بالله مع الفتح الرباني رضوان الله عليه .

وشرحها لأبي الفتح قنون وهو المسمى : بفتح الأقفال ، سلك فيه مسلك التحقيق مع الباع التام في النقل ، بما يناسب الموضوع وتعظم به فائدة المريد في الطريقة وغيرها ، ويستفيد منه غير المريد أيضا ، بزيح عنه الإرادات الوهمية التي ابتلي بها المعترضون على السادة الصوفية . وقد قرظه مع من قرظه . وجعلت تاريخ طبعه في صدر بيت من أبيات قلتها فيه . وهو بحساب الجمل سر الدوا بفاتح الأقفال .

وشرحها ، لعلامة أبي العباس سيدي أحمد بن سيدي جعفر الكتاني . سلك فيه مسلك شرح ابن زكري للشيشبة . شرحا ومزجا لألفاظها ، بما أظهر فيه اقتداره على إبراغ المعاني في قوالب البيان المرصع بالبديع في غاية الإحسان ولقد كان مؤلفه رضي الله عنه ممن لهم قدم المحبة في الشيخ رضي الله عنه ، وحسن اعتقاد فيه وفي سائر أهل الله ، بما انفرد به عن أقرانه من ذوي العلم . وكان يذكر أوراد الطريقة عن غير التزام ، مع أذكار طرق أخرى ، لما شرح الله به صدره من حب أهل الله والانخراط في سلك الفقراء المتصوفين ، بصدق نية وسلامة طوية .

وشرحها ، لشيخنا أبي إسحاق مولانا ابراهيم بن محمد بن اليزيد ، الشريف العلوي اليزيدي التجاني . وقد سلك طريقة مثلي من غير إجحاف في النقول ، وأظهر فيه من التفنن ما شاء ، في حسن ترصيف ، من أبدع تصنيف . وفيه من الفوائد ما لا يوجد غالبه إلا فيه . وشيخنا هذا ممن كان يقول بزيارة الأولياء مطلقا وعدم منع المريد منها ، عملا بمقتضى ما في جواهر المعاني وما لديه من الإذن في الطريقة ممن يبيح ذلك نفعه الله بنيته وقدس سره في أعلى عليين آمين .

وشرحها ، لعارف بالله الأخ سيدي عبد الغني حجيج ، الدباغ حرفة المفتوح

عليه . وقفت على مزجه للجوهرة بما يبهر العقول ، من تراكيبه التي يستلذ المتلق تكرارها ، ولا تمل الأسماع من إعادتها . ولم يزل مؤلفها ، ينظر إليه علماء الطريقة وغيرها بنظر إعجاب لحاله ومقاله ، لما تحققوا به من أن الفتح من الله موهبة يختص بها من يشاء من غير توقف على معاناة مدارسة رسوم علوم . وله رضي الله عنه كلام عال في الختميــــة والكتمية . وترجم له بالخصوص ملازمه ، محبنا المرحوم السيد أحمد بن عبد الله الفاسي التطواني دفين الزاوية الزرهونية . ولقد كان المؤلف المذكور من الطلقاء في الطريقة ، بعد شربه فيها من عين الحقيقة ، وتظاهر عند بعض محبيه بطريقة الخصوصية ، التي صار يلقنها لمن تحقق صدقه في الطلب . وربما أفضى بسره لبعضهم في كون طريقه متفرعة عن الطريقة الأحمدية . وكان ملحوظا بعين الاحترام عند من عرفه ، مع كمال إجلاله لدى عارفيه . وهو في حرفته واحد من الناس ، غير متميز عنهم سوى بكثرة ذكره وتذكاره وظهور أنواره وأسراره . رحمـــه الله .

وهذا ما اطلعت عليه من شروحها :

شروح صلاة الفاتح :

ومن ذلك ، شروح صلاة الفاتح لما أغلق . فقد كتب عليها بالخصوص أبو المواهب ابن السائح ، بشرح نوه بشأنه . غير أنه دخل في خبر كان ولم نقف عليه ممن عرفناه من الإخوان .

وشرحها أيضا ، الأستاذ الكبير أبو عبد الله سيدي محمد بن الحاج محمد بن عبد الله شارح الحزب السيفي . وقد نقل في هذا الشرح المسمى : بإزهر الفاتح ، ما أقر به عيون إخوانه ، وأبان فيه عن مقدرته في تنميق التأليف ، وترتيب التصنيف في أحسن ترصيف . وقد اطلعنا عليه فقرظناه ، وهو خليق بكل تحلة وتكريم ، زاده الله في مناه ، وبلغه ما يتمناه .

ومن طيب الأنق بالطيب العائق في صلاة الفاتح ، أبو الفتح بركة السلف ،

سيدي محمد بن عبد الواحد النظيفي ، ما الحق بجوهر لفظها الذي رتبه على حروف المعجم . وقد نحى في تراكيبه منحى الصلاة الدرية ونحوها مما وقعت نسبته للشيخ رضي الله عنه ، وصيره أحزابا في حق المريدين الآخذين عنه . وهو أهل لأن يتظاهر في الطريقة بتلقينها . وجعل هذه الصيغ من أوراده طبق ما فتح به عليه . وهو أدرى بما في طي ذلك من خواص لم تنطو عليها خصوص ألفاظ صلاة الفاتح المجردة عن كل زيادة ، فإن الزيادة معها مذهبة لخاصيتها . وبهذا يلتقي ما انتقد على هذا السيد رضي الله عنه ، بما أضافه لجوهر لفظ الفاتح . ولم يبق إلا الكلام مع من انتقد عليه ، من كونها من كلام الله ، الذي زاد في شرحه تبيانا لذلك بقوله : إنها بمنزلة القرآن بمعنى في كونها من كلام الله ، واعتقاد ذلك من شروط نيل فضلها ، الحاصل بالإذن من أهلها . وقد بسطنا القول في هذا الموضوع ، مع الاختصار فيما يراد من ذلك ، طبق المبشرات التي لم تنقطع بانقطاع الوحي . وإن كلام الله غير محصور في القرآن ولا في غيره من الكتب السماوية . وقد حصلت المكالمة من أعيان الصوفية ولا التفات لقول من نفى ذلك .

بعض الكتب المؤلفة في الطريق :

ثم إن السيد النظيفي رضي الله عنه ، قد نشر أعلام تآليفه في الطريقة ، بما شهد له في كثرتها وإفادتها بالعموم والخصوص ، وأذعنت له في إجمالها وتفصيلها الرؤوس ، سيما فيما أطال به من النقول والنصوص .

فمن ذلك : شرح خريدته الكبير والصغير . وكلاهما مطبوع . مع ما له من غيرهما مما هو خارج عن هذا الموضوع والله يطيل النفع به آمين . وقد انتقد عليه بعض المنتقدين زيادة على ما تقدم بعض صيغات تلك الصلوات ، وأجبنا عنه بما فيه كفاية ، وتقدمت الإشارة إليه فلنكتف هنا بما أشرنا إليه وبالله التوفيق .

ومن الكتب المؤلفة في هذه الطريقة ، ما ألفه المقدم المعظم أبو الفيض سيدي الحاج الحسين الإفراني السوسي . فقد ألف مؤلفات عديدة بما انطوت عليه .

مفيدة منها : أجوبته الفشاشرة ، التى أجاب بها مقدم الزاوية التجانية بالصويرة ، قد اطلعت عليها ونقل عن كتابنا الكوكب الوهاج . ومنها ، أربع مصنات في خزانة الزاوية العاسرية ، ذات الخواص الماشية . وقد أفاض القول فيها مما يرجع لفقه الطريقة وفضلها ، بما عرف به طول باعه وسعة اطلاعه . ولم يساعدني الحظ في مراجع وقت لنطالع جميعها . وإنما مررت بين يدي مسرور تصفح الصفحات في الزاوية المباركة . ونرجو أن تساعدنا الأقدار فنفوز بمطالعتها في ذلك الحرم الشريف ، فتقر العين بما نراه فيها والحمد لله رب العالمين .

وممن كتب في هذه الطريقة فأجاد ، ونظم فأفاد ، بركة السلف في الخلف في القطر السنغالى ، المقدم الكبير المرحوم السيد الحاج مالك بن عثمان . فقد أفاد العموم والخصوص بما كشف عنه الغطا ، وقد طبع قيد حياته وبعدها ، مؤلفات يتحقق بها مطالعه أن مؤلفها من كمل الرجال المفتوح عليهم ، وممن يتبرك بهم قيد حياتهم وبعدها ، بما أسداه الحق من فضله إليهم . ذلك لأنه قام قيد حياته بالتربية وأخذ عنه الطريقة الأحمدية ، الجم الغفير الشاهدين بالنفع على يده . والمؤدين لشهادتهم بما قام به من طاعة ربه ، وقيامه على ساق الجد في عبادته ، واشتغاله بنفع البلاد والعباد ، مع الزهد فيما فى أيدى الناس . وقد قلت هذه الصفة من المتصدرين للأخذ بيد الاخوان . فرضي الله عنه بما أحسن به لنفسه .

وممن كتب أيضا فيها ، أبو الفضل ، شيبة الحمد أبو محمد ، المشهود له بالكرامة والتصرف في الإنس والجن والحيوان ، سيدي الحاج عبدالله الكولخي - والد الخليفة المكرم سيدي الحاج محمد إنياس . فهو له في الطريقة كتابه المطبوع المعنون : بإعلام الناس فى الرد على من نقض عهد أبي العباس . ولقد جاء به فى نسق متسق وترتيب مروق ، ينشرح الصدر عند مطالعته ، وتنتعش به الروح لا سيما عند مراجعته . فقد علم أن الشيء قد يمل عند الإعادة ، وإعادة النظر فى هذا التأليف مما تزداد بها الإفادة ، فلله در مؤلفه الذي لم نقف على من انتقد عليه ولا وقف أحد

من المتقدمين إلا مناطأ له وألقى سلبه بين يديه . ولقـــد أكرم الله ولده الخليفة المذكور ، بإرث مالديه . ففتح عليه بالفتح الذى شهد له به الخاص والعام . وأيم الله إني لأشهد له بالخصوصية الكبرى في هذه الطريقة ، والمزية التامة في وقوفه على عين الحقيقة . فأفنى شبابه في خدمة الإرشاد ونفع العباد . مع استغراق أنفاسه في الذكر والذكرى والتذكير ، والتأليف الذى له فيه الإذن بحسن التعبير ، مع مدحه للرسول عليه السلام ، وخدمة السيرة النبوية . والرد على المنكرين بما لا يصدر إلا عمن كان من خاصة الخاصة من أهل الله . وقد أوقفني وأتحفني بكل ذلك ، فطالعته . وطال حل حبه لدي ، وما قاطعني ولا قاطعته . نرجو الله دوام الوصلة في كمال صلة عرفانية إلى يوم الدين . ونرجو لإخوته حسن اقتداء به ، في اتباع سيرة والده المرحوم . ولقـــد شملتهم نظرته رضي الله عنه ، فظهرت عليهم علامة الفتح . خصوصا منهم أبو اسحاق الشيخ ابراهيم ، الذى هو من شراب الحقيقة في حضرات المعرفة ٣٠٠م . وأخوه في الحب وصفاء الود من زمان قديم سيدى محمد وغيرهم . ألف الله بين قلوب الجميع ، وزاد في مقامهم آمين .

ولنقف عند هذا الحد هنا معترفا بالعجز عن استيفاء حق من ألف في هذه الطريقة ، ولا أني ذكرت جميعهم على الحقيقة . فقد بقي منهم مؤلفون أماثل منهم من شب وشاب في الخدمة ، مع ماله من رفع همة ونفوذ حال ، كالعلامة الشريف سيدي محمد الحجوجي ، صاحب التآليف العديدة المفيدة ، مما أطلعنا عليه فقرظناه ومالم نطلع عليه مما أخبرنا حفظه الله بموضوعه ، فشكرنا صنيعه ومدحناه . ومثله صهرنا مفخرة علماء بني مرواز ، خليفة عمه ختم المجذوب أبو حفص العلامة سيدي عمر بن الوزير المرحوم سيدى الحاج المدني المرواري الجلاوى ، وغيرهما ممن لا زال يكتب في الطريق مما يأخذ به يد الغريق . زاد الله في مقامهم آمين .

الكتب المنسوبة للشيخ رضي الله عنه ، مع أنها ليست له
وذلك لجهـــــل من نسبها له لموافقة النسبة

من الإخوان من يزعم أنه وقف على بعض مؤلفات لسيدنا رضي الله عنه ، وينقول عليه في ذلك . فمنهم من يقول وقفت على شرحه لأسماء الله الحسنى . ومنهم من يقول وقفت على رحلته . ومنهم من يقول وقفت على شرحه للأجرومية . ومنهم من يقول وقفت على استغاثته وشرحها في الانتصار بهم على من قتلوا ولده سيدي محمد الكبير . ونحو ذلك من المؤلفات حتى أنه نسب إليه أحد التآليف الموسوعة في المجون ، جهلا منه بمقام الشيخ رضي الله عنه . وبمن ألف تلك التآليف . ولقد بحثت عن تلك الكتب وبذلت الجهد في الوقوف عليها ، وإذا بتلك التآليف لمؤلفين قبل الشيخ رضي الله عنه وليست من تأليفه . على أن الشيخ رضي الله عنه لم يكن صارفا همته لتأليف الكتب . وإنما يملي على بعض أصحابه ما لابد ، من جواب أسئلة أو درس مسألة . وقد درس في مدينة سوسة من القطر التونسي ، وفي جامع المالكية من الجزائر ، وفي الجامع الأعظم من تلمسان ، فيما بلغنا على أسلوب بديع في نفع العامة والخاصة . ثم تجرد للإرشاد . معرضا عن كتب مايشغله عن كثرة الأذكار والعبادة ، التي كان لايجد معها فراغا لمثل ذلك . حتى أنه أعرض عن مطالعة الكتب المؤلفة ، حتى في الحديث والتفسير ، لاكتفائه بمعلوماته من ذلك . فهو الحافظ الحجة المتفنن المتقن للعلوم النافعة في الدين . ولقد تجرد أخيرا عن ملكية كل كتاب كان عنده ، بأمر من الحضرة النبوية عليه الصلاة والسلام ، بعد أن أمره بذلك ، وأن لا يترك تحت يده إلا نسخة من صحيح البخاري ونسخة من تذكرة الأنطاكي ، حسبما بلغنا ذلك عمن تلقوا ذلك من خاصة أصحابه الملازمين له إلى أن توفي رضي الله عنه .

ولقد رام بعض المبغضين الطعن في الشيخ رضي الله عنه ، لكونه لم يؤلف كتبا كثيرة مثل ما ألفه غيره من أصحاب التآليف المديدة ، مثل ابن العربي والحبي من

أرباب العلم الدقيق وغيرهما من الفقهاء والمحدثين ، ومن وقع لهم الإذن في التصدير وإنما هو في مقام يقوم به مطلق الشيوخ في تلقين الأذكار . ومع ذلك لم يجر في ذلك على سنن التربية . وحلف بعضهم بحضرتي على أن فلانا وسمى بعض أصحاب الشيخ رضي الله عنه لمكانته في العلم أعظم من مكانة الشيخ ، وجرى في مثل هذا على حد قول البكاى غفر الله لنا وله في الشيخ كنسوس إذ قال :

وما عبت تجانية غير أنني حسود لعصفور مصاد له صقر

وقال البكاى أيضا في الشيخ عمر الفوتي عفا الله عنا وعنه :

يعيبه عدوه بأنه من أهل تجانية فيما نظر
فقلت له لا عيب في ورد فما فيه سوى ذكر لمن شاء ذكر
ورب شيخ فاته تلميذه سبقا فموسى كان تلميذ الخضر

ولعمري إن ما قاله هؤلاء المبغضون ، لما حجبهم الله به عن مقام الشيخ رضي الله عنه ، فحرمهم الله من الانتفاع على يده . ولو فتح الله بصيرتهم لرأوا أن التأليف من الوسائل لا من المقاصد . والمقصود الأهم هو العبادة ، وإن كان الاشتغال بالتأليف يعد أيضا من العبادة ، ولكن لا يقوى في انتفاع الشخص قوة الانتفاع بما طوق به . على أن الشيخ رضي الله عنه متبع لما كان يأمره به صلى الله عليه وسلم ، لمزيد اعتنائه به بعد الاعتناء العام . على أن الانتفاع الذي حصل على يده بالإرشاد أكثر من الانتفاع بتلك التآليف العديدة التي ألفها غيره . وقد حصل المقصد الأهم من انتفاع الجم الغفير على يده بالدخول لطريقته التي صاروا بها في ميزانه (١)

والمرء في ميزانه أتباعه فاقدر بذلك قدر جاه محمد

(١) المزية لا تقتضي الأفضلية وإنما التفاضل يكون بسمو الرتبة في المعرفة .

صلى الله عليه وسلم ، ولقد رد على البكاى المذكور جماعة من علماء الطريق ، كما أشرت إلى ذلك فى كشف الحجاب . وأنشدنا فيه قول العلامة محمد الشنجيطى مخاطبا له :

نظرت إلى الشيخ التجانى نظرة يجل ويعلو منه عن مثلها قدر
رأيتك فى ماء قليل شربته لحاكيت حميا فلوه ولم يدروا
ولم تدر أن الأولياء بأسرهم إلى جنبه قطر بجانبه بحر
وهم كلهم عقد من الدرفائق ولكنه عصماء ما قلد النحر

والحاصل أن الشيخ رضى الله عنه ، قد نفع الله به كثيراً من العباد ، بما لم يحصل من تلك التآليف الفائقة التعداد . ومع كونه لم يكثر من التصنيف فقد كثر عليه الانتقاد من حساده ومبغضى طريقته ، فأحرى لو ألف . وأبي الله إلا أن يكون محسودا . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

الكلام على الكتب التى تعرضت لانتهاك حرمة الشيخ رضى الله عنه وتبرئته وما قيل فى ذلك

لو لم تكن من كرامة الشيخ رضي الله عنه ، إلا تقييض الحق لمن يناضل عن حماه الرفيع في كل زمان لكفي . فقد قيض سبحانه من يدافع عنه ، وأيدهم بروح منه . فبينوا الحق المبين لمن أنكره ، جهلا أو تجاهلا ، حسدا منهم أو بغضا ، ونحو ذلك من أمراض القلوب التي تمكنت فى قلوب المنكرين على أهل الله ، الذين استحلوا الوقيعة فى المؤمنين ، واستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، فلا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة . فأشاعوا عنهم المناكر وأحبوا أن يعلمها الخاص والعام ، لينفروا من نسبوا ذلك إليه ممن ظهروا فى أجلي المظاهر . ولقد سلط على الأنبياء أعداؤهم فجعل الله لكل نبي عدوا من المجرمين . فكان لكل واحد من الأولياء بحدهم بحسب الوراثة عدو مبين فى الدين فكم من حاسد لتعظيم الذى أمرهم الله به ، وكم

من ساجد لكراماتهم ، حتى لا يكونوا أفضل منه إذ ذكروا في المجالس ، أو جلس واحد منهم في صدرها . وكم مبغض لهم من غير سبب ، سوى ما منحهم الله به من رفع الرتب . وكم من حاقد عليهم إذا رأى تعظيم الناس إليهم ، ولم يكن لهم تقدم عليهم . وكم من تابع لهواه في الانكار عليهم بالباطل ، مع تزيين الشيطان له في التقول عليهم مالم يقولوه أو يفعلوه ، في الظاهر والباطن . وغير ذلك من أنواع الاذاية امتحانا من الحق بين الخلق . ليزيدهم من فضله بالابتلاء إظهارا لمصداق قول الرسول صلى الله عليه وسلم : أشدكم بلاء الأنبياء الأمثل فالأمثل .

ولقد ابتلى الله سبحانه مؤسس هذه الطريقة التجانية بكثرة النكير عليه ، منذ تجرد عن أهله في مباديه ، إلى أن ظهر أمره والناس متحزبون عليه حسدا له على ما آتاه الله من فضله . وكم من مشافه له بالبذا وهو مستسلم له في أمره للقضاء ، غير مبال بما عامله به أهل عصره ، إلى أن حصل على المراد وهدى الله به من شاء من العباد . فظهرت طريقته الأحمدية وبشر بانتشارها في سائر البلاد قيد حياته ، وازداد ظهورها بعد وفاته . ولا زال الناس يدخلون فيها أفواجا أفواجا . ولن يزالوا في ازدياد كما يرى ذلك الأحباب والأعداء والحساد .

فمن ابتلى بالنكير على الشيخ رضي الله عنه قيد حياته ، الميلى المصرى ، في مسألة معنى كلام الله ودلالة القرآن العظيم التى تعرض لها في جواهر المعانى . وقد قيض الله من بين الصواب مع الشيخ فيها ، خليفته في القطر التونسي الشيخ أبا إسحاق إبراهيم ابن عبدالقادر الرياحى رحمه الله ، بتأليفه المسمى : مبرد الصوارم والأسنة في الرد على من أخرج الشيخ التجانى من دائرة أهل السنة . وقد كان كتب له الشيخ رضى الله عنه ، ولجماعة من أصحابه الذين أهمهم ذلك الطعن في الجناب الأحمدي . وقد ذكرت رسالة الشيخ رضي الله عنه في ترجمة هذا السيد في كتابنا كشف الحجاب يقول فيها مخاطبا بعد الدعاء لهم : إن الكتاب الذي جمعه سيدي إبراهيم الرياحي في الرد على من طعن فينا ونسبنا إلى الاعتزال ، والنكير علينا ، فلا تلتفتوا لكلامه ، ولا تبالوا به ولا تهتموا من شأنه . وإنما هو رجل أعماه الحقد واستولى الران على قلبه وليس

هو من فرسان هذا الميدان حتى تلتفتوا إليه. وإنما هو كما قيل: ليس بعشك فادرجي(١)

ولنا فى الرسل عليهم الصلاة والسلام أسوة. نسبوا إلى الشعر، وإلى الجنون وإلى الكهانة، وإلى السحر، وما التفتوا إليه وما أهمهم من نسبهم إلى ذلك. إلى أن قال رضى الله عنه: ولكن أعرضوا عن كلام هذا الجاهل، ولا تلتفتوا إليه، وأنسوا بقوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله ءاياته والله عليم حكيم) إلى قوله تعالى (وإن الظالمين لفى شقاق بعيد. وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم، وإن الله لهادى الذين ءامنوا إلى صراط مستقيم. ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم. الملك يومئذ لله يحكم بينهم، فالذين ءامنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين. والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا

---

(١) وقد ادعى الميلى بأن الشيخ رضى الله عنه ممن يقول بأن القرآن مخلوق وأخذ يرد على القائلين بهذا القول وهو كاذب فى دعواه فإن الشيخ رضى الله عنه برىء من ذلك فهو يرد على ما تخيله وهو وهم معدوم.

والذى قاله الشيخ رضى الله عنه، إن ألفاظ القرآن الكريم التى عرفوها منها ما يدل على الحوادث كالسماء والأرض وفرعون وجنود. ومنها ما يدل على الذات القديمة كالأسماء الحسنى، فهى دالة على مدلولات الكلام القديم. ولفظ القرآن والكتاب والذكر هى التى تدل على كلام الله القديم، وهو رضى الله عنه قائل بقدم القرآن وكذلك جميع أتباعه. وهذا الذى ذكره رضى الله عنه هو الذى أجمع عليه أهل التحقيق.

ومن العجيب أن ينسبوا للشيخ رضى الله عنه أنه قال إن صلاة الفاتح من كلام الله القديم. فكيف يصح فى الأذهان أن يقول قائل إن صلاة الفاتح من كلام الله القديم ويقول إن القرآن حادث. وكلا القولين لم يصح عن الشيخ رضى الله عنه.

أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا ، وإن الله لهو خير الرازقين . ليدخلنهم مدخلا يرضونه ، وإن الله لعليم حليم) وقوله (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ، ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم ومايفترون . ولتصغى إليه أفئدة الذين لايؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون) ولكن الأمر حين اتركه في عماه يقول ما شاء والسلام . وقد صادف ذلك تمام الرد على هذا المنكر والأمر لله وحده .

وممن تعرض للشيخ رضي الله عنه في ابتداء أمره ، حين تجرده للسلوك على قدم الجد في طريق القوم ، العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري ، في رحلته الحجازية . وقد وقفت عليها بخط يده ذاكرا ما معناه ، أنه اجتمع بشاب يسمى أحمد التيجاني ، طلق زوجته وانقطع للجولان في الأرض ، وتفاوض معه في قضية الخضر مع موسى عليه السلام ، وهو يجنح إلى أن الخضر أعلم ، وجنح في ماحكاه عنه إلى الانتقاد عليه ، ثم ذكر أنه أنشده :

إذا لم تكن إلا الأسنة مركبا فلا يسع المضطر إلا ركوبها

وعثرت بهامش هذه الرحلة بخط يشبه خط العلامة اكنسوس ، يبحث معه فيما ذكره ، وكتب على قوله طلق ما معناه : هذا فضول من المؤلف ، وهو شيء لايعني وليس فيه ما يمس جانب الشيخ الذي تجرد للسلوك ، أو كونه في ذلك تجرد لشيء آخر في عهدته ، لسوء ظنه بالشيخ رضي الله عنه . وبحث معه أيضا في قضية الخضر بما لم استحضره الآن . فكتب على الهامش هنا ما يأتي نقله ، ومضمنه أن الخضر أعلم في حال القضية بدليل الحديث الصحيح حين سئل سيدنا موسى عليه السلام : أتعلم أحدا أعلم منك ؟ فقال : لا . فقيل له : بلى عبدنا خضر . ومزية الأعلمية لا تقتضي تفضيل الخضر عليه بلا شك . (١)

---

(١) عن الشيخ رضي الله عنه أن العلوم الإلهية لا يصح أن تقاس علم الخضر فيها بعلم الكليم عليه السلام . وأما الكونيات فلا ضرر في أن يعلم الخضر مالم يعلمه=

ثم نزيدها جوابا عن إيرادات ربما يوردها من يريد الاستفادة فنقول : إن الحديث الصحيح فيه ، أنت على علم لا أعلمه وأنا على علم لا تعلمه . فمن أين الأعلمية فيقال قد تكون بحسب ما لدى الخضر عليه السلام من علم الأشياء فهو سيدنا موسى عليه السلام أكثر مما عند الكليم عليه السلام ، فالخضر يعلم أكثر منه من علم الظاهر . مع اعترافه بأنه لا يعلم الجزئيات التي عند سيدنا موسى . وزاد عليه بما لا يعلمه سيدنا موسى من علم الباطن . ولم يعلم الله سيدنا موسى ما في طي ما صدر من الخضر حتى أنبأه بتأويل ما لم يستطع عليه صبرا . فهو بهذه الثانية أعلم ولا يبعد أن يكون بعد ذلك صار أعلم من الخضر . وهو الذي تقتضيه رتبة النبوة . وهذا كله على القول بأن الخضر ليس بنبي . وإلا فلا إشكال . لكون الحق رفع درجات بعض الأنبياء على بعض . ونص على ذلك في الرسل فقال : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) والله أعلم .

وقد وجد علي فيما ذكرته ، بعض السادة الناصريين ، حين وقفوا على ما كتبته أولا ، وبلغني أنهم شطبوا عليه من هامش الرحلة المذكور مع أنه لم يصدر مني تنقيص لمؤلفها ، وإنما كتبت ما ظهر لي ، وكل كلام فيه المردود والمقبول إلا كلام الرسول عليه السلام ، على أن الكلام منا إنما هو أيضا مع الكلام ، ولو أنصف لكتب على ما ذكرناه لإيضاح الحق والرد على من خرج عن النهج القويم به ، والحق يظهر من مني ومن كلم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

= موسى فيها . وقد يعلم الخفير في بلد ودروبها ما لا يعلمه الوزير . ولكن في تدبير الأمور وتصريفها والحكم فلا شك أن الوزير أعلم . ولا يضير ذلك الوزير شيئا .

وقد سلك بالنبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه في الهجرة خريت يعرف الطريق وما ضر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما نزل صلى الله عليه وسلم بدرا أشار عليه بعض الأنصار بتغيير منزله من الأعداء وأخذ بإشارته صلى الله عليه وسلم .

ومن تعرض للشيخ رضي الله عنه ، وأطلق لسانه فيه ، كما أطلقه في غيره بما ظهر له ، مؤلف كتاب الجانة وكتاب الترجمانة ، الكاتب الزياني ، فقد نسب للشيخ رضي الله عنه أنه من الناس من القطر الجزائري ، واستوطن المغرب ، وادعى المشيخة بالكذب ، وأنه مشتغل بعلم التدبير ، وأنه مما يريد به تنفير المعتقدين فيه وهيهات هيهات ، فما على مثل الزياني بعد الخطأ ، لكونه له خطايا لا تحصر بعد ولا تحد ، عند من طالع ما يكتبه تجد ، وقد قيض الله له العلامة أكنسوس فسفه رأيه ، ونقض ما أبرمه من الأخبار التي اختلقها ، ومن راجع كتابه الجيش العرمرم تبين له سقطات الزياني وكذباته ، وما لديه من التقولات مما لا تحصل له ثقة به في جميع ما أخبر به ، غير أن لسان العلامة أكنسوس في تاريخه في الجيش المذكور طير لسانه في الطريقة ولم يتعرض لها فيه بشيء ولم يذكر الشيخ رضي الله عنه فيه حتى لا يكون سببا في الإنكار عليه من المتحرجين عليه ، من ذوي الإمارة في عصره الذين حرموا من بركته ، ولله في خلقه شؤون

وقد تعرض أبو الفتح بن خليفة في نونيته المسماة : ببشارة الجاني بمدح الشيخ التجاني ، للرد على المنكرين فقال من جملتها

قل للزياني والشبيه به انتـ ـبد	فالانتقاد محجة الخسران
فالشيخ عنه الإله وأنت لم	تظفر ولو بالمرشد الإنساني
عرضت نفسك لافتضاح حيث لم	تمسك لسانك عن ذوي الإيمان
أكثرت من هذر الكلام وهجره	من غير إدراك ولا إمعان
وجهلت أن لحوم أهل الله قد	سمت لمن قد نالها يا جاني
أو ليس من عادى ولي الله يؤ	ذن بالحروب وبطشة الديان
أحرى وهذا القطب من عاداه عو	قب عاجلا بالكفر والكفران

ومن ابتلي بالانتقاد على الشيخ رضي الله عنه ، أبو العباس البكاي الكنتي وكان مع أمثاله من أهل الطريقة التي هم متمسكون بها ، يبذلون غاية جهدهم

في استجلاب قلب العلامة أكنسوس إليهم ، وهو يجاملهم ويجادل رغبتهم التكلي للذكور ، بما لم يزل فيه معهم إلى أن أسكتهم بالحجج القاطعة لكل انتقاد وإلى ظلمهم وتعصبهم الذي لا يجدي نفعا في ذوي الاعتقاد . فألف في الرد على التكلي جواب السكت ، وهو مطبوع . وبمطالعته يتحقق ذو المعرفة ما لمؤلفه من طول الباع في علم المعقول والمنقول . كما أجاب البناني أيضا بتأليفه المسمى : بالحال الزجورية وهو مطبوع أيضا . وفيه ظهر اتساع عارضته في علم الحقيقة ، وكمال معرفته بالحق ، ورسوخ قدمه في الطريقة . رحمه الله ورضي عنا وعنه آمين .

وممن استطال واستصال بالنكير على الشيخ رضي الله عنه من أهل شنجيط ، ديح الشنجيطي الكمبلي . فقد تفنن فيه بالتعبير ، فقيض الله العلامة الشنجيطي محمد الصغير ، فألف في الرد عليه أرجوزته : سارية الفلاح ، وأتمها بكتابه : الجيش الكفيل ، الذي تكلمنا عليه سابقا . وفيهما ما أرد الغليل رحمه الله

وقام أيضا بالدفاع عن هذا الجناب مختص بابا الشنجيطي بكتابه المضب اليماني أجاد فيه للغاية نظما ونثرا

وممن تظاهر بالعداء على المقدمين في تلقين الطريقة ، بكون الطريقة لا يأذن فيها إلا الشيخ الحي وأن الشيخ الميت لا يحصل على يده نفع . جماعة من المتظاهرين بالمشيخة(١) ونحن لا نسفههم في هذا القول ، لأنه قول من لا يعتمد عليه من المتقدمين

---

(١) إن التربية ليست بالجسد وإنما هي تربية للروح . والموت بالنسبة للروح انتقال من عالم إلى عالم آخر . والروح لا تفنى . ولن تزال لأرواح الصالحين في الدار الآخرة صلة أهل الدنيا . وقد قال تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها ، فيمسك التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) وقال الحبر ابن عباس رضي الله عنهما : إن روح الحي تلتقي مع روح الميت يتذاكران ثم ترجع روح الحي إلى جسمها وتريد روح الميت أن ترجع إلى بدنها فتمسك .

فأجرى المتأخرين . وإنما ينكر عليهم فى التقولات التي أظهروا بهـــا ما أظهروه وما أوقعوا فيه العامة من التنافر والتباغض والتدابر ، وغير ذلك ، إلا من أخذ الله بيده فى أهل الله ، بما تقوله عليهم هؤلاء القوم . وقد سلط الله على كل نبي معن المتصدرين من هؤلاء الشيوخ ، من قابلهم بما يكرهون . فلم يقدهم إلا القيام للدفاع بأنفسهم عما ينزه ساحتهم ويقدح به فى عرض من اعترض عليهم من أبناء جلدتهم . ولقد سلك هذا المسلك منهم حامل راية الطائفة الكتانية أعجوبة الدهر الشيخ المرحوم سيدي محمد بن عجيزنا الشيخ المولى عبد الكبير الكتانى . ولا أقصد بما أحكيه تنقيصه عند المنتقد ولا أتعرض لذكر ما يفرح به المنتقد . وإنما أذكر الواقع وأعيب عليه مقالاته التى أراد بها جلب القلوب إليه ، وطعنه بهـا في الطريق الذي نحن سالكون عليه . مثل ما ذكره في تآليفه خبيئة الكون فإنه ما قصر فى هدم ما شيد في الطريقة التجانية على أساس وماقصر ، وقد أعجب مطالعها بالنسق الذي سلكه فيها ، فسلط الله عليه من قال فيه وتقول عليه مثل الشيخ البوعزاوى

= وقد خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل البقيع خطاب الأحياء وقال صلى الله عليه وسلم فى قتلى الكفار ببدر : والله ما أنتم بأسمع لما أقول منهم

وثبت أن الميت المسلم يرد سلام المسلم عليه

بقيت مسألة الروح ، فحقيقة الثدى الميتة لا ترضع ، ولكن الثدى الميتة هى ثدى الجسد ، وأما الروح فلها حياة أخرى ولن تزال فى الحياة ، ومن أذن له بالتربية وهو فى البرزخ فهو حى يربى حيا لأن التربية إنما هى للروح

وقد ذكر المحققون أن هناك تربية تسمى « التربية الأويسية » فتربى روح روحا والجسدان لم يلتقيا : وسواء فى ذلك اتحدت حياتهما أو كانت إحداهما فى الدنيا والأخرى فى البرزخ

فهذا الذى يقول بأن التربية قاصرة على هذه الدنيا هو فى واد جسمانى فى عزلة عن معارف الروح ومقاماتها

الشاوى المؤلف لرسالته المسماة : بالانتصار بالله . والفقيه العلامة السباعي المراكشي الذي ألف فيه رسائل جمعها المحترمون للشيخ المذكور ، لم يدعوها في أيدي الناس بعد ما شاعت ، وقد أحسنوا في ذلك دفعا لهتك الأعراض بغير ما عراض ، وكذلك الفقيه العلامة أبو الفتح قنون التجاني الذي كان منافسا له في التصدر لتلقين واختيار العامة له مع الخاصة المتصدرين ، فألف تآليف فيه منها تأليفه الدر المنظوم في نصرة طريق الكنز المكنوم ، المتداول بين الأصحاب ، ومع هذا كله فإن لنا في الشيخ الكتاني المذكور ، بإجادة صنع التآليف وطول باعه في الاطلاع على كلام القوم ، وبالخصوص الفتوحات المكية ، وغيرها من الكتب العالية النفس ، وله في ذلك مشرب خاص مع حسن التعبير ، وإني لأعتقد فيه أنه استعجل بالظهور ، ولو صبر حتى يتخرج علي يد شيخ كامل في تهذيب النفس لكان من شأنه ما يكون فوق ما تظاهر به .

على أنه لم يصدر منه سب للشيخ رضي الله عنه . وإنما له مراجعة منه في المقام الذي تظاهر به . فإنه نحا نحو طريقته ، ويحيل بلسان حاله ومقاله الجواب عما يدعيه على الجواب على ما ادعاه الشيخ رضي الله عنه .

ولقد أورد في كتابه أسئلة على أهل الطريقة ، وجعلها دينا عليهم إن لم يجيبوا عليها ، أو يعترفوا بعدم الانتفاع بالشيخ الميت وقد ألفت في الجواب عنها بالخصوص تأليفا سميته : قرة العين ، فأدينا به ذلك الدين ، الذي أبي الله إلا أن يكون في أقرب وقت ، على الشرط الذى اقترحه من ترك التنقـل عن الناس .

ثم ظهر في عالم المطبوعات أيام ولاية السلطان مولانا عبد الحفيظ وفقه الله لما فيه رضاه ، ووقاه كل مافيه رداه ، تأليف منسوب إليه ، قد اشتمل على تقولات شنيعة ومقالات فظيعة ، وبالغ في الطعن فيها ، وكأنه يجنح فيها إلى التحامل على الطريقة التجانية . وقد طالعناه ، فهالنا ما وقفنا عليه فيه . وجدنا ما تعرض له من المنكرات في ما يناهز المائة انتقاد ، مما يحتاج في رده إلى صرف أوقات نفيسة من

العمر ، مع الخوف على النفس من المردود عليه ، فأعرضنا عن الاعتراض عليه ، وما لنا من الله له الهداية ليرجع إلى طريق الصواب ، لكونه من أعظم علماء الإسلام في رعيته مع المكانة المكينة في شرفه الباذخ والمجد الشامخ . ولقد أخذ الله بيده فتقلد بقلادة هذه الطريقة الأحمدية التجانية وأنشأ فيها قصائد في مدح الشيخ رضي الله عنه . منها قصيدته الميمية التي يقول منها هذا البيت الدال على حسن ظنه وجميل اعتقاده :

وإني وإن كنت المسيء الذي اعتدى وحارب جهرا ها أنا اليوم طائع

وكفى بهذا فخرا للطريق التجانية التي رجع اليها . وأخبرني مولانا عبد الحفيظ المذكور زاده الله بسطة في العلم والجسم ، أن ذلك التوبات لم يكن صدر منه في الطعن في الطريقة التجانية ، وإنما قصد به بعض أتباع مجيزنا العارف الأكبر الشيخ ماء العينين ، حيث استولى عليه بما كان يذكره له من الكرامات حتى نقض بسببه عهد الطريق التجانية ، وأخذ عنه طريقة خصوصية ، ثم بدا له رفض طريقته وسائر الطرق ، بما داخله من الاسترابة في ذلك . فكتب ما كتب من ذلك غير ملتفت لما وراء ما هنالك .

ولقد قام أمنه الله بالدفاع بعد ذلك عن حمى الشيخ رضى الله عنه وطريقته . فألف فيها تآليف بديعة منها :

أرجوزته المسماة : بالجامعة العرفانية .

وتأليف في الرد على بعض المنكرين من أهل العصر ، سماه : بزجر المعتدى على الجناب الأحمدى .

كما رد على العارف الجانى محمد الخضر بن مايابى الشنجيطى بتأليف : نحر الجرود .

وغير ذلك عامله الله على عمله الصالح ونيته الصالحة ، بما عامل به خاصة الخاصة من أصفيائه .

وممن رد على العارف الجانى المذكور ، حضرة المقدم الأرشد الخليفة الأسعد

السيد الحاج محمد بن الحاج عبد الله السكوكي أمنه الله ، بأرجوزة بديعة شرحها أيضا بشرح نفيس يسمى : الجيوش الطلع والمرهفات القطع ، أجاد فيها وأبان عن وجه الصواب ، الذي ما فيه ارتياب ، بما كفي جازاه الله خيرا .

ومما وقفنا عليه في سب الطريقة وإهانتها ، والتعرض لولد الشيخ رضي الله عنه ، سيدنا محمد الكبير ، تأليف لبعض المبغضين ، سماه : بالقول الأعم في الختم ، أطال فيه لسان القدح ، بما لا يصدر إلا من سفهاء الأحلام ، بما تقوله من التقولات التي لم تصدر إلا من جاهل أعمى البصر والبصيرة ، عياذا بالله منه ومن أمثاله .

وكذلك تعرض لسب ولد الشيخ المذكور ، مؤلف تحفة الزائر ، التي ألفها في مناقب الأمير محيى الدين الجزائري عفا الله عنا وعنه . ما منشأ ذلك إلا الأغراض الشخصية ، التي تلقي صاحبها على أم رأسه في هاوية ، وترميه بكل بلية . نسأل الله السلامة .

على أن جل ما انتقده المنتقدون في هذه الأيام الأخيرة كله مفروغ من جوابه ، الذي بسط القول فيه صاحب الجيش الكبير ، مستوفي على أحسن ما يرام ، في تحقيق المقال في ذلك المقام . وما زالت الطريقة والحمد لله في انتشار خارق العادة ، بكثرة الداخلين فيها . ولم يعبأ أحد منهم بالمنتقدين . ولا أثر فيه انتقاد ، مما له من حسن اعتقاد ، إلا من كان من المحرومين أو المنقطعين . نسأل الله العفو والعافية بمنه آمين :

خليلي اصغ لي حتى تعي كل ما قلت	فإني بكيل الحق بالحق قد كلت
ولم أخسر الميزان فيما وزنته	ولكن على الأعداء بالحق قد صلت
وما قلت إلا الحق والحق رائدي	إلى الحق حتى نلت الحق ما نلت
وفي حلبات الحق صرت مقدما	على من يجاريني وماهوى مثلت
إلى قصبات السبق طرت بهمة	وفي في ميدان لأحرازها جلت

وأحرزت وحدي ما بدا في طريقة ... سلكت عليها ما به قد تطاولت

لمن ذا الذي بالحق بارزني بما ... له من أباطيل أتحلت طبق ما قلت

أضرت الطريق الأحمدي ولم يقم ... أمامي انتقاد فيه بالحق ناضلت

ولما عرفت المنكرين تحاملوا ... عليه بعدوان عليهم تحاملت

نقضت الذي قد أبرموه سفاهة ... لآرائهم والحق ما عنه شوغلت

إلى أن بدا منشور أعلام نصره ... عليهم وكم من منغض فيه قاتلت

وقبلي بدا للناصفين فأذعنوا ... ولي قد عنا من منهم كنت قابلت

طريقة شيخ ما اقتدي أحد به ... فضل لذا ما عن حماه تحولت

وما قلت يا شيخي التجاني ولم تجب ... أغاثة ربي بالذي منه حاولت

فضل الذي ينفي إغاثة مثله ... فقبلك كان انقاد من فيه جادلت

إذا الله قد أعطى التصرف للولي ... فأفعاله بالله طبق الذي قلت (١)

وسيان أهل الله حي وميت ... تصرفهم قطعي وما قد تجاهلت

وذا بعض ما عندي من الحق قلته ... وأفصحت عنه بالذي عنه ما حلت

فإن كنت ممن قال بالحق منصفا ... فراجع بإنصاف جميع الذي قلت

ونهج سبيلي واضح لمن اهتدى ... وفيه بحمد الله ظلت وما ملت

---

(١) إذا أعطى الله التصرف للولي فليست هذه صفة ألوهية . ومن الجهل البين توهم ذلك وإنما هي صفة يجوز أن يعطيها الله لمخلوق كما أعطاها للملائكة والجن والإنسان بعرش بلقيس جاء في التنزيل المعصوم . ومن الجهل إنكار مثل ذلك ويخشى على صاحبه لأنه تحجير للقدرة الإلهية المطلقة .

اعلام للأعلام

لقد عانيت عناء شديدا في جمعي لتراجم أصحاب الشيخ رضي الله عنه ، الذين أخذوا عنه مباشرة ، طبق ماذكرتهم في كتابي « كشف الحجاب عمن تلاقى مع القطب التجاني من الأصحاب » وكتابي « رفع النقاب » ولاقيت من أصحاب الأغراض ماعانيت فيه العجب العجاب من أنواع التقولات والافتراءات ، على هذا الجناب الأحمدي ومن انحاش إليه ، ولقد حدثني بعضهم بأمور غريبة مما لم أذكره في كتاب كشف الحجاب ولا كتابي رفع النقاب ولا في غيرها سوى بعض المناقب التي لم أتحقق كونها من المفتريات .

ولقد نظرت لحال من يخبرني بما لم أنقله عنه وما المقصود من تقولاته بذكر تلك المناقب الغريبة التي لو ذكرتها عنهم لعدت من المثالب المريبة ، فوجدت حال البعض منهم يقضي بتكذيبي إن نقلتها عنه ، فيقول للناس إني لم أحدثه بهذا الأمر ، وإنما اختلقه ونسب تحديثه به إلي . وهذا قد شاهدته من بعضهم ، بعد أن أخبرني بعجائب من هذا الباب فقابلته بعد أيام وحدثته بها فاستنكرها ، فأخبرته بأنه هو الذي حدثني بها ، فأنكر ذلك فلاطفته حتى أقر بأنه هو المختلق لها ، ليختبر أحوالي وما أنقله عن المخبرين بمثل ذلك .

وبعضهم أراد إخباري بذلك ، لأنقل عنه ماينكره الواقف عليه ، حيث إن ذلك من المناقب المفررة للغير ، فلاتقع الثقة بما ذكرته من ذلك .

وبعضهم اختلق أذكارا نسبها للشيخ ، وذكر أنها مروية عنه بواسطة سيدي فلان وفلان . وذلك كله من المفتريات التي شاعت عند بعض الإخوان ، قصدا منهم للتدليس في الطريقة ، ونسبة ما ليس منها إليها .

ولقد فاوضني بعضهم ، وسألني عن شيء كان حدثني به ، ولم أذكره في الحل المناسب لذلك من تأليفي كشف الحجاب ، حيث إنه طالعه من أوله إلى آخره ولم يقف على ذلك ، فقلت إنه قد داخلني الشك فيما أخبرتني به — ولما كانت مصرح

بذلك — بعد ما كنت عزمت على نقله عنك ، فقال لى والله إني لقد قصدت ذلك ، لأشيع عنك نقل ذلك ومثله . وقد كان ذلك باتفاق فلان وفلان معي على ذلك . وقد تمشت هذه الحيلة على غيرك ممن يتقبل الأشياء بتساهل .

ثم تبدت طرق التقولات والمفتريات ، مما يعد بين العامة من المناقب العالية المدرك ، والأسرار التى لاتدرك فوجدتها من غير المقدمين الصادقين في سلوك هذه الطريقة ، وغالبها ممن كان متقلدا بطريقة أخرى ، فأدخل أذكار هذه فى هذه ، ونسب خصائص هذه لهذه ، إما قصدا ، ليقال عنه مايقال من إنه من فحول الرجال وإما لجهله وتغفله وتهاونه بالصدق فى السلوك ومسارعته للقيام بالتلقين لأوراد هذا لأغراض يعلمها الله منه فلاينبغى الاعتماد على مطلق المخبرين بمثل ذلك ، ولا على المقدمين الذين تلقوا التقديم عن غير بيان أو ممن يتساهل فى الطريق من المقدمين بين الاخوان والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

خاتمة

قد يتسارع إلى الإنكار على ، فيما تعرضت له فى هذا التوليف ، بعض الاخوان ممن لا إنصاف لهم في نصر الحق وسلوك طريق الجادة فى الاعراض عما يوجب الاعتراض على الشيخ رضي الله عنه من أصحاب الأغراض ، وماعلى إذا قلت الحق ونصرته ، ونشرت لواء المعرفة لمن يريد الاستظلال بظلها فى أمن وأمان مبتعدا عن كل ضلال ، وما يؤدي إليه من سوء اعتقاد وشر انتقاد من أهل هذا الزمان . وقد قيل فى مثلهم :

زماننا كأهله وأهله كما ترى
ومقيهم جميعهم إلى ورا إلى ورا

ولقد اقتصرت على التنبيه على بعض المتقولات المنسوبة لهذا الجناب ، مما فتح به المولعون بالمفتريات وذكرها للعامة الذين تنطبع فى مرآتهم الصور المقترحة أبوابا ويتقولون على الخاصة فيها كذبات يختلقونها حتى قال الشيطان فى أمثالهم :

لى حيلة فيمن ينـ ـم وليس فى الكذاب حيلة

من كان يخلق ما يقـ ـول فحيلتى فيه قليلة

وراموا بذلك أن يقفوا فى وجوه الداخلين فى الطريقة أفواجا أفواجا بإنكارهم الفضل الذي منح الله به من تمسك بحبلها فتقولوا ماتقولوه ، وعابوا منها ماعابوه بافتراء تحملوه .

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا وظلمـــا إنه لدميم

وإن سائق العناية ، ليسوق إلى هذه الطريق من قدر الله أن يكون من أهلها والصارف الإلهى ، يصرف عنها من لم يكن منهم ، فهى الطريقة الأحمـــدية التى ما أسست إلا على تقوى من الله ورضوان . ولا تقبل مايتقول عليها من البدع والخزعبلات بزيادة ونقصان ، ولونسب ذلك إليها من رام هتك حرمتها بقول الزور والبهتان ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . وهو الهادي إلى سواء السبيل . وصلى الله على الفاتح الخاتم محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم:

خاتمة

في ترجمة

سيدي الحاج أحمد سكيرج

رضي الله عنه

حامل السر المحمدي، ووارث النور الأحمدي، علم الطريق ومرجع التحقيق، سيدي الحاج أحمد بن الحاج العياشي بن الحاج عبد الرحمن بن اليونوسي سكيرج الخزرجي الأنصاري.

ولد رضي الله عنه بفاس في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٩٥ هـ ولما توفي الشيخ رضي الله عنه كان جده ابن تسع سنين وكان يقرأ عشرة آلاف من صلاة الفاتح في اليوم، وكان يأخذ سيدي الحاج أحمد وأخاه إلى الزاوية وهما صغيران، وتوفي رحمه الله سنة ١٣١١ هـ

أما والده سيدي الحاج العياشي فقد جاهد وحج واعتمر وطلب في مواجهة المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يرزقه الله ولدا صالحا ينتفع به الناس ويجري الله على يديه مصالح العباد. وقد استجاب الله دعوته ولله الحمد.

وقرأ القرآن على الفقيه المدرس سيدي محمد بن الهاشمي الكتاني، وأما تجديده لوالدته ، فقد أخذ عن الشيخ مباشرة . وفي سنة ١٣٠٩ التحق مع أخيه سيدي محمد بدروس العلم بمسجد القرويين بفاس وهو كالأزهر بمصر وكان التحصيل في أول أمره شاقا عليه حتى اجتمع بشيخه سيدي الحبيب بن سيدي الحاج الداودي التلمساني فشكا له حاله . فقال إنك لم تهتد لطريقة التعلم والتعليم فإن السبيل السهلة في الوصول للمقصود نصف الفهم ونصف الحفظ . فسهل الله عليه العلم والفهم وأخذ عن العارف بالله سيدي إدريس محمور الفاسي. وفي سنة ١٣١٤ ألف رسالته المحررة في الفرائض فأعجب بها شيخه وكل من رآها . وأخذ الحديث عن مولاي عبد الله بن إدريس

البكراوي وكان مفتوحا عليه وكان يحدث تلاميذه بما يصنعون في خلواتهم الطريق الكشف . فكانوا يتحرجون من إتيان ما لا يحسن وأخذ الإذن بالأوراد اللازمة عن الفقيه العلامة سيدي محمد قنون بمحراب زاوية الشيخ رضي الله عنه وهو عن سيدي العربي بن السائح والشيخ التجاني بن باب وغيرهما وأسانيدهما معروفة ثم عن مولاي عبد المالك الضرير وكان مشهورا بالفتح وهو ممن يجتمع بالمصطفى صلى الله عليه وسلم في اليقظة . وقد أفردت مناقبه بالتأليف .

ثم اجتمع بالعارف الكامل سيدي أحمد العبدلاوي سنة ١٣١٦ ولزم صحبته وقرأ عليه المشاهد لسيدي الحاج على حرازم والجامع لسيدي ابن المشري وأخذ عنه أسرارها وأنوارها وأطلعه على كناشه الخاص الذي جمع فيه رسائل الشيخ وخاصة أصحابه .

وآخى بينه وبين ولده سيدي محمد فكان لا يكتم عنه شيئا وكان يبين له حقائق الأسرار وأخبار أصحاب الشيخ وأخبره أنه لما اجتمع بسيدنا الفقيه الكلسوسي بمراكش أراد أن يدخله الخلوة التي عنده بالزاوية وهي التي أدخل إليها سيدي العربي بن السائح فامتنع لأنه كان في مصالح أولاد الشيخ رضي الله عنهم ورجع إليهم ، ولما رجع مرة أخرى مكنه مما طلب ثم قال :

يا أهل يثرب ، لا مقام لكم فارجعوا . فرجع ، وكان يحفظ الفتوحات المكية عن ظهر قلب .

وهو رضي الله عنه من أحفاد الولي الصالح سيدي عبد الله المدفون بأحد أبواب تونس المشهور وولد قبل وفاة الشيخ بشهرين ولم يمت حتى اقتحمت جوهرة الذكر في قلبه فكان قلبه يذكر دائما ، ذكر بلسانه أو لم يذكر .

ووالده سيدي محمد بن قويدر وهو الذي كان العامل يتسله وهو يقرأ معه صلاة الفاتح وكان محبوبا لدى سيدي محمد الحبيب رضي الله عنه ومرافقا له وملازما ، وكانا يقرءان معا وقد اطلع على الخزانة الخاصة بالكناش المكتوم وكان موضع أسرار دار الشيخ رضى الله عنه وإليه ينتسب في الطريقة التجانية الشريفة وهو والده

الروحي وصاحب تربيته الخصوصية والمترجم عنه الاطلاق الكامل عن سيدي الحاج علي التماسيني رضي الله عنه ، وقد قدمه غيره . منهم سيدي الطيب السفياني كتب له التقديم بيده عندما أراد الحج عام ١٣٣١ ، وكذلك عن القاضي أبو العباس سيدي عبيد بناني عن سيدي علال الفاسي خطيب الحضرة الشريفة عن سيدي بوجرة بن سيدي الحاج علي حرازم عن سيدي محمد بن عبد الواحد بناني المصري عن سيدي الحاج علي حرازم براده وأخذ عن والده سيدي الحاج علي حرازم بدون وساطة سيدي البناني واجتمع بكثير من أهل الخاصة فكانوا يتبادلون معه الاجازة وهو المعروف بالتدبيج وأذنه سيدي محمود بن سيدي البشير حفيد الشيخ رضي الله عنه بكل ماطلب في الطريق ، ولما التقي بسيدي محمد الكبير بن الشيخ رضي الله عنه قال اكتب لنفسك ماشئت ، فأجازه به وهو آخر سند له رضي الله عنه .

وأنشده سيدي أحمد العبدلاوي ما أنشده الفقيه الكنسوسي :

وإذا أراد الله نصرة عبده كانت له أعداؤه أنصارا
وإذا أراد خلاصه من هلكة أجرى له في نارها أنهارا

وأول قصيدة نظمها في مدح الشيخ رضي الله عنه سنة ١٣١٦ مطلعها

داعي الغرام بسحره ألقاني وسقى فؤادي بالرحيق القاني
فتنسمت ريح القبول بعرفه والقول يهتف من قدود الباني

وحصل جملة فنون مما تقربه العيون . وفي عام ١٣١٨ درس بالقرويين متطوعا ، وكان مشايخه يعتقدون فيه البركة والخير ، وفي سنة ٢٠ عين مدرسا رسميا في القرويين وكان عظيم الأجلال لشيوخه حفيا بهم وألف وأفاد وأجاد وأول مؤلف له في الطريق : (الكوكب الوهاج) في سنة ١٣١٨ ولما اطلع سيدي محمد العبدلاوي والده على كشف الحجاب استحسنه غاية . وبشر سيدنا رضي الله عنه وقال :

أحمد الله على ما أنعم به عليك ، إنك والله خليفة عن الشيخ رضي الله عنه ، ونائب عنه فيما أكرمك الله به .

وكان يقول والده إن ولدي أحمد هو دعوتي في دعوتها عند شربي من ماء زمزم وأخذي بشباك ضريح النبي صلى الله عليه وسلم. وفي سنة ٢٠ تزوج وولد له سيدي عبد الكريم سنة ١٣٢٢ وسماه بهذا الاسم حبا في شيخه سيدي الحاج عبد الكريم بنيس. وقد أخذ عنه أسرارا وأنوارا وقرأ عليه الفتوحات والإنسان الكامل والفصوص وغيرها وحل له رموزها وأوقفه على حقائقها، فأصبحت له عبارة الشيخ الأكبر في سائر كتبه.

وفي عام ١٣٢٥ سافر إلى مكناسة بطلب نقيب الأشراف العلامة مولاي عبد الرحمن ابن زيدان واجتمع هناك بعلماء وفضلاء، وقضى في المذاكرة معهم مدة وفي مشاهدة آثار الفتح، وألف في ذلك الرحلة الزيدانية. وزار طنجة في سنة ١٣٢٨.

وفي سنة ١٣٢٩ استدعاه سيدي الحبيب بن عبد المالك إلى وهران فسافر إليه واجتمع به وبجمع من الأفاضل ثم عاد لفاس. وألف في ذلك الرحلة الوهرانية.

وفي هذه السنة قدم إلى فاس سيدنا محمود بن الشيخ رضي الله عنه وتجول بالمغرب الأقصى فرافقه في تجواله أربعة أشهر، وألف بعدها رسالة في هذه الرحلة ثم أقام في طنجة وتعارف مع الباشا سيدي الحاج محمد الزكاري وطلب للعمل في نظارة أحباس فاس الجديد فأقام بها أربع سنوات.

وفي سنة ١٣٣٤ توجه للحج وعينته الحكومة الشريفة نائبا عنها في تهنئة الملك حسين باستقلال الحجاز وألف الرحلة إلى الحجاز. وفيها اجتمع بكثير من علماء مصر إذ ذاك وروى عنهم الحديث وأجاز واستجاز. ومنهم الشيخ سليم البشري، والشيخ بخيت، والشيخ عبد الرحمن عليش، وغيرهم. وكذلك علماء الحجاز. ونال أكبر تقدير من جميع الهيئات العلمية والإدارية في اجتماع جمعية أوقاف الحرمين الشريفين في العام الذي تلا الحج المذكور. ثم انتقل من النظارة إلى القضاء بمدينة وجدة، فلم ترق الولاية في نظره، وأراد اعتزال الولاية فكتب قصيدة لوزير العدلية الشيخ أبو شعيب الدكالي يستقيل فيها من القضاء مطلعها:

إن القضاء قضى علي بوجدة   يا ليتني أو وجدة لم توجد

ثم تولى عضوية المحكمة العليا برباط الفتح. ثم عاد إلى القضاء بثغر الجديدة في

شعبان سنة ١٣٤٠ ثم تولى القضاء بمدينة سطات سنة ١٣٤٧ هجرية . وقد تشرفت مصر بقدومه إليها في طريقه إلى الأقطار الحجازية سنة ١٣٥٢ وعند أوبته بسلامة الله وقد ازداد نورا وقبولا . وقد طبعت رسالة في ذكرى هذه الزيارة وقد تشرفت بزيارته وهو قاضي مدينة سطات سنة ١٣٥٦ وما رأيت من بارك الله له في حياته وزمنه كسيدي الحاج أحمد سكيرج فإنه كان يرعى أموره الدنيوية والزراعية بنفسه مع قيامه بالقضاء والاجتماعات الدينية وإلقاء العظات التي يلين لها الصخر والإصلاح بين الناس والرد على الاستفتاءات التي كانت ترد عليه من أقطار العالم الإسلامي برسائل كل واحدة منها تصلح أن تكون مؤلفا مستقلا كافيا في موضوعه وهذا شيء لا أستطيع حصره فإن أصحابه الآخذين عنه كثرة في مشارق الأرض ومغاربها من المحيط الأطلسي في أقصى المغرب إلى المحيط الهادي في الأقطار الأندونوسية في أقصى المشرق من كبار العلماء والأدباء وذوي الرأي . وكان يكتب هذه الرسائل بنفسه وخطه مع اشتغاله بالاطلاع والتأليف نثرا وشعرا في قوة بيان وبلاغة ناصعة وتحرير حكيم

ومؤلفاته رضي الله عنه ذكرناها في كشف الحجاب ومنها المطبوع ومنها غير المطبوع

ومن هذه المؤلفات كتاب (قدم الرسوخ) فيما لمؤلفه من الشيوخ ذكر فيه شيوخه في القرآن والحديث والتفسير والتصوف وأنواع العلوم وفي الطريق وترجم لهم ، وهو في عدة مجلدات جمع الفوائد العالية مع دقة الفهم والفقه .

ومن مؤلفاته (قرة العين في الجواب عن الأسئلة المودعة في خبيئة الكون) وسبب تأليفه أن الحكيم الترمذي تكلم عن مقام الختمية وهو مقام خاص في الولاية وظن بعض من لا يعرف اصطلاح القوم أن معناه أنه لا ولي بعده ، وليس كذلك ولكنها منزلة خاصة في الولاية يسمى من انفرد بها ختم الولاية المحمدية . وذكر الحكيم الترمذي أن ثم علوما تختص بهذا المقام لا يستطيع معرفتها إلا من حل في هذه المرتبة ووضع أسئلة ذكر أنه لا يعرفها حق المعرفة إلا الختم وقد أجاب عن هذه الأسئلة سيدي محيي الدين بن العربي رضي الله عنه عندما رأى رؤيا عبرها بأنه صاحب

المرتبة الختمية . ثم بدا له أنها التيه ولذلك عرف به فقال كنيته أبو العباس ، وهذه الكنية تختص بمن اسمه أحمد وذكر أنه اجتمع به اجتماعا روحيا فقال : اجتمعت به أحيانا ورأيته مبتلى بإنكار الخلق عليه .

ثم ظهر في القرن الرابع عشر بعض الصالحين في فاس . وقال إن أسئلة الحكيم الترمذي دين في عنق التجانيين - حيث لم ينقل أن الشيخ سيدي أحمد التجاني أجاب عن هـذه الأسئلة . لا يؤدى إلا إذا اتصل بعض أصحاب الشيخ بروحانيه رضي الله عنه ويغترف من بحره ، ويجيب عن تلك الأسئلة .

وقد حصل لسيدي أحمد سكيرج أعلى الله منزله ذلك فأخذ من روحانية الشيخ رضي الله عنه أجوبة هذه الأسئلة وأبرزها في ذلك الكتاب .

ومنها (مورد الصفا في محاذاة الشفا) ، وهو نظم كتاب الشفا للقاضي عياض في ١٧٤٧ بيت . وقد فرغ من نظمه في ٢١ ربيع عام ١٣٥٠ .

ومنها (الذهب الخالص في محاذاة كبرى الخصائص وهو نظم لخصائص الكبرى للحافظ السيوطي)

نظم نحو خمسة أسداس الكتاب في تسعة عشر ألف ومائة وخمسين بيتا وبقي سدس الكتاب ، بلغ في نظمها إلى قول السيوطي باب اختصاصه صلى الله عليه وسلم بساعة الإجابة وبليلة القدر وبشهر رمضان وكان ذلك في عشية يوم الخميس ٢٢ رجب عام ١٣٦٣ وتوفي أسكنه الله الفردوس بعد ذلك بشهر . وقد اقترح ولده العلامة الأديب سيدي عبد الكريم على عمه شيبة الحمد سيدي الحاج محمد سكيرج المتوفي بطنجة رحمه الله تعالى أن يتم نظمها تبركا به ففعل رغم سنه البالغة الثمين وهو أكبر من أخيه سيدي أحمد سكيرج رحمه الله . وقد ذكر سيدي عبد الكريم أبياتا جعلها واسطة ورابطة بين النظمين فقال :

هنا انتهى نظم الفقيه الأوحد	سكيرج البحر الخضم أحمد
بسبب الوفاة بعد شهر	رحمه الإله طول الدهر
سنة ستين وألف وتلا	ثلاثة بعد ثلاثة اعتلا
وقد ألحا من بعده أخوه	محمد في نظمه يتلوه
وليس في عمله من شبه	من اقتدى بصنوه في الحمد

لي بشكر المولى الذي قد ألهمه ويرتجى ثوابه وأنعمه
فرحم الله السنا الذى مضى وزاد فى عمر الذى قد أومضا

وأول النظم :

الحمـــد لله الذي أطلع فى سما النبوة سنا لاينطفي

وقد أفرد بعض أصحاب سيدي أحمد سكيرج رحمه الله تعالى ترجمته بالتأليف وقد تصدى لكل علم وفن وهو فيه حجة وإمام وقد انتفع فحول العلماء بسيدي أحمد سكيرج بتلامذته وبمكاتبته وتآليفه في العالم الإسلامي كله من عرب وهنود وأتراك وألبانيين وجاوه وغرب إفريقيا وشرقها والجن ومن فى المشرق والمغرب . وأفرده بتأليف خاص سلطان العلماء وعالم السلاطين مولانا عبد الحفيظ سلطان المغرب سابقا . وقد كان رحمه الله اجتمع به أحد العلماء الوافدين من الجنوب والتحق في درسه الخاص الذي كان يضم نخبة أكابر علماء المغرب فى قراءة التفسير والحديث ، وكان إذ ذاك يقرأ صحيح البخارى وكان بين ذلك الرجل وبين بعض شيوخ الطرق الملازمين لسلطان خصومة فأوغر صدر السلطان عليهم ، ونسب إليهم ماهم منه بريئون حتى انحرف السلطان عنهم ثم بطش ببعضهم فقامت بعد ذلك فتن كانت سببا فى إقصائه عن السلطنة وعن المغرب ، ثم اجتمع بعد ذلك بمدة بسيدى الحاج أحمد سكيرج . فعرض عليه ماعنده من الشبه . فتبين له حقيقتها بالدلائل الحاسمة فلما تبين له الحق رجع عن إنكاره وأخذ الطريقة التجانية عنه وصار من أخص أصحابه حتى ألف ديوانا فى مدح الشيخ سيدى أحمد التجانى به القصائد البليغة .

يقول فى مطلع إحداها :

نمت ريح الفضل من عز جانبه لأنظر خلا أحكمتنى جواذبه

ويقول في مطلع أخرى :

ألم يأن للمكلوم أن يتشكلا ويظهر أسقاما بها قد تأملا

ومنها قصيدته الميمية المشهورة التى يقول فيها :

ألا هل يجد النوم والربع شاسع وهل من لقاء الحب يشفى التواضع

إلى أن قال فيها رحمه الله :

وإني وإن كنت المسيء الذي اعتدى وحارب جهرا ها أنا اليوم طائع

فما عن قلى كان البعاد وإنما | أطاع فؤادى ماهوته المسامع
فإن عنحوا الهموم قربا وعطفة | فحمدة من بعض ما أنت جامع
وإن تعف عن ظلم بدا منه بعدما | قد ارتفعت عن وجه ليلى البراقع
فلاغرو إن العفو بالأرث ملككم | بدا برقه فى ذلك الحي واقع
وفي ابن سلمى سلونا لتائب | وفى نيله ثوب النبى مطامع
وقفو سبيل المصطفى وصحابه | طريقتك المثلى فلا من ينازع

إلى أن ختمها بقوله :

شفيعى ودادي في هواك بلامرا | وجدك يوم الحشر لكل شافع

وفاته رضى الله عنه

رأي قدس الله سره وهو بمدينة سطات بالمغرب الأقصى رؤيا أنه فى ضريح القاضى عياض رضي الله عنه صاحب كتاب « الشفـــا فى التعريف بحقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم » وقد تقدم أن المترجم نظم هذا الكتاب كله ، ولما أراد الخروج سدت فى وجهه سائر الأبواب وقد كتب بهذه الرؤيا لبعض أحبابه مؤولا لها بأنه ربما يدفن بجانب القاضي عياض ولم يعلم ذووه بهذه الرؤيا ولم يكن يخطر ببال أحد أنه يتوفي بمراكش ويدفن بقبر القاضى عياض فإن ذلك أمر بعيد ولم تكن مراكش موضع إقامته ، وقبل وفاته بثلاثة أيام تيسرت الأسباب وتوفى رحمه الله بها يوم السبت ٢٣ شعبان عام ١٣٦٣ الموافق ١٢ أغسطس سنة ١٩٤٤ وهو يلهج بذكر الله والتجأ إليه عز وجل وأمر باشا مراكش أن يدفن مع القاضي عياض فى ضريحه لشدة اعتنائه به ومحبته له وبعد دفنه علموا بالرؤيا ، وأنها كانت رؤيا حق صادقة ، ونشرت جريدة السعادة بالمغرب ترجمته ورثته وكذلك جرائد المغرب وتونس .

رحمه الله رحمة واسعة وأحله فى عليين فى مقعد صدق عند مليك مقتدر

الزاوية التجانية الكبرى بالقاهرة

محمد الحافظ بن عبد اللطيف التجاني

بيان موضوعات الجزء الثاني من كتاب جناية المنتسب العاني فيما نسبه بالكذب للشيخ القطب التجاني

رقم الصفحة

الشيخ رضي الله عنه .

٦١ الكلام على الكنز المدفون في مطالب القطب المكتوم الذى ظهر في عالم المطبوعات منقولا عن الشيخ .

٦٢ الكلام على شرح الهمزية للخليفة المذكور رضى الله عنه .

٦٤ « « الكتاب المسمى بمسوب السر الرباني في مناقب القطب التجاني .

٥٥ « « « « المسمى بالجامع لما افترق من العلوم الفائضة من القطب المكتوم رضى الله عنه .

٦٦ الكلام على كتاب مواهب المنان المسمى أيضا بروض المحب الفاني .

٦٦ « « « « نصرة الشرفاء للعلامة ابن المشرى رحمه الله .

٦٨ « « درر الأنوار للواسطة المعظم سيدى محمد بن العربي الدمراوي وما تقوله المتقولون فيه .

٦٩ الكلام على رسالة الفقيه أبي العباس مولاى أحمد الفلالى ابن عبد السلام الودغيرى التى أثبت فيها ختمية الشيخ رضى الله عنه .

٧٠ الكلام على الإفادة الأحمدية التى ألفها الشريف الودغيرى سيدى الحاج الطيب السفياني أحد خاصة أحباب الشيخ رضى الله عنه الآخذين عنه مشافهة وهو جد مقدم الزاوية الآن بفاس زاد الله في معناه .

٧٢ الكلام على الرماح تأليف العارف أبى حفص الفوتي رضي الله عنه .

٧٢ « « السيوف للشيخ أبى حفص المذكور .

٧٣ « « الجيش الكفيل للعلامة سيدى محمد الصغير الشنجيطى رحمه الله مع أرجوزته المسماة بسارية الفلاح .

٧٤ الكلام على ميزاب الرحمة لسيدى عبده الشنجيطى أخى مؤلف الجيش

١١٠

عنوان المحفوظة له حقوق الطبع وهو الاديب الفاضل العلامة
سيدى عبد الكريم سكيرج بن المؤلف قدس الله سره العزيز
سطات ١٣ ساحة مولاى الحسن ص . ب ٢٧ بالمغرب الأقصى

تم طبع هذا الكتاب فى شهر شعبان المبارك سنة ١٣٨٩